يـــا آية السـبط

علي الصفار الكربلائي •

تَـرْنُـو إليكَ عُـيـونُ القَلْبِ يا قَمَرُ ... وَفـي رِحَـابِـكَ رُوحُ الخَلْقِ تَعْتَمِرُ

يا آيـةَ السِّبطِ يَـومَ الطَّفِّ ما نَزَلَتْ ... إلاّ لِتَصْعَقَ مَنْ خَانُوا وَمَـنْ كَفَرُوا

أَطْبَقْتَ عالي السَّما فَوقَ الثَّرى فَهَوَتْ ... تِلكَ الرُّؤوسُ وأضْحَى سَيفَكَ القَدَرُ

وَطَـأطَـأَ الجَيشُ وانْـسَـابَـتْ كَتائِبُهُ ... على حُسَامِكَ مِثْلَ السَّيلِ تَنْحَدِرُ

يَـحُـزُّهـا صَـــارِمُ الـكَـرَّارِ ثـانِـيَـةً ... وَإِنْ عَلاها حُـسَـامُ الحَقِّ تَنْشَطِرُ

وَصَلْتَ لِلْماءِ ياسَقَّاءُ فَانْبَجَسَتْ ... عَينُ الحَياةِ فَـغَـاضَ الـمَـاءُ يَسْتَتِرُ

أغْضَى حَياءً لِطَرْفِ المَوجِ مُنْحَسِراً ... وَنَـبْـعُ عَينِكَ فَـوقَ النَّهْرِ يَنْفَجِرُ

نَـزَلْـتَ فيهِ تُناغِي عَـذْبَـهُ فَـهَـوَى ... مـا بينَ كَفَّيك مِـمّـا كـانَ يَـعْـتَـذِرُ

وكـادَ يَـغْـرَقُ في أوسَـاطِ جُـودِكُـمُ ... ورَاحَ بالحُزْنِ والآهـاتِ يَحْتَضِرُ

وَضَعْتَ كَفَّيكَ فيهِ فَارْتَوى وَطَغى ... حَتَّى اسْتَبَاحَ الثُّرَيَّا نَشرُهُ العَطِرُ

رَكَـــزْتَ رَايـــةَ طـه عِـنـدَهُ فَـرَبَـتْ ... فَـوقَ الجَمَاجِمِ مِنهَا الـدَّمُّ يَنْتَثِرُ
وَصُنْتَهُ بِحدُودِ البِيضِ فَازْدَحَمَتْ ... على جَناحَيهِ مِـنْ أَشـلائِـهِـمْ زُمَـرُ

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

يا آيـةَ السِّبطِ يَـومُ الـطَّـفِّ ذَكَّـرَنـا ... بَـدراً وَرايَـتَـهـا فَاسْتَحْكَمَ الظَفَرُ
قَـدْ كُـنْـتَ لِلسِّبطِ فَـقَّـاراً يَـذُودُ بِهِ ... عَـنِ الإِمَـامَـةِ فَاشْمَخْ أَنْـتَ مُنْتَصِرُ
بَنَيتَ مَـجْـدَكَ بِـالإِيـثـارِ فـي أَلَـقٍ ... فَوقَ المَجَّراتِ فَاسْتَسقَى بِهِ المَطَرُ
نَصَبْتَ عَرْشَكَ فَـوقَ الجُودِ ياقَمَرٌ ... حـارَتْ بِهِ الجِنُّ والأمْـلاكُ والبَشَرُ
وَمَـا رَأى الـكَـونُ بَـدراً قَانِياً أَلِقاً ... يَشُقُّ سَتْرَ الدَّيَاجي وَهْـوَ مُنْعَفِرُ
يا سَيِّدِي أَفْحَمَ التَّارِيخَ مَوقِفُكُمْ ... وَفـي مَـداكَ يَـراعـي الـيـومَ مُقْتَفِرُ
مَاذا أَقولُ بِمَنْ شَمْسُ الحُسَينِ هَوَتْ ... كَيْمَا تُـودِّعُـهُ والـظَّـهْـر مُنْكَسِرُ
مَـاذا أَقـولُ بِـمَـنْ تَـرْعَـاهُ فاطِمَةٌ ... والحَشْرُ شَاهِدُهَا والقَلْبُ مُنْفَطِرُ
أَعْيَيْتَني سَيِّدي سَاخَتْ بِكُمْ فِكَرِي ... جَفَّ المِدادُ وَقَـدْ شَطَّتْ بِيَ الصُّوَرُ
هَا أَنْـتَ أَنْـتَ بِما قَـالَ الزَّمانُ بِكُمْ ... وَإِنَّـنِـي أَلْـكَـنُ فِـيـكُـمْ فَـأَعْـتَـذِرُ
والـيـومَ جِئنَاكَ عَينٌ دَمْعُهَا فَرِحاً ... يَهْمِي وَأُخْـرَى على الزَّهَراءِ تَنْهَمِرُ
وَمَا أَصَابَكَ سَهْمُ البَينِ فَانْبَجَسَتْ ... عَينُ العَطاءِ وَمِنها فَـاضَـتِ العِبَرُ

إلاّ وَعَينٌ لِبِنْتِ المُصْطَفى لُطِمَتْ ... فَجُرْحُ عَينِكَ مِنْ عَينِ الهُدَى أَثَرُ
وَمَا أطلَّ عَلَيكَ السِّبْطُ مُنْكَسِراً ... إلاّ وَضِلْعٌ لِبِنْتِ الوَحيِ مُنْكَسِرُ
وَدَدْتَ أَهْلَ الكِسَا عَنْ عَينِ مَعْرِفَةٍ ... فَاسْتَخْلَصُوكَ عُيوناً مَا بِهَا كَدَرُ
يا أَبْجَدَ الوِدِّ والإِيثارِ أَنْتَ هُنا ... تَرتيلةُ الدَّهْرِ نَغْمٌ صَانَهُ الوَتَرُ
يَهُزُّ سَمْعَ المَلا لَحْنا بِذَابِلِهِ ... وَيُنْشِدُ السَّيفُ مَاغَنَّتْ بِه الزُّبُرُ

* * * * *

يا آيةَ السِّبْطِ مَازِلنا نُرَتِّلُها: ... دَمُ الشَّهَادَةِ أَبقى حِينَ يَنْفَجِرُ
عَبَّاسُ ياجَاذِبَ الأرواحِ مَافَتِئَتْ ... إليكَ تَّهفُوا وَيَهْفُوا المَاءُ والشَّجَرُ
وَمَاتَلَوتُ نَشيدِي فِيكَ عَنْ عَمَهٍ ... أَقَرَّكَ العَقْلُ ثُمَّ القَلْبُ فَالبَصَرُ
وَضَعْتُ قَلبي على كَفَّيكَ مُؤتَزِراً ... مَعنى الوَفاءِ فَفِيكَ النَّبضُ يَنْحَصِرُ
وَطُفْتُ في كِبرياءِ الجُودِ مُعْتَمِراً ... وَغُصْتُ في عنفوانٍ نَشْرُهُ عَطِرُ
يا أَبْجَدَ الوَصْلِ فَاضَ المَاءُ مُتَّكِئاً ... على عَطائِكَ حَتَّى أَيْنَعَ الثَّمَرُ
يا أَبْجَدَ الطَّفِّ يا تاجاً يُرَصِّعُهُ ... نُورُ العَقيدَةِ لا المَرجَانُ والدُّرَرُ
تَخُطُّهُ ذِكرياتٌ كُلُّها أَرَجٌ ... مِنَ الشَّهَادَةِ لامَيْنٌ وَلاكِبَرُ ■

* * * * *

مُحتَوياتُ العَدَد

كلمة العدد

الدعوات الإصلاحية.. مواقف وعبر

المشرف العام ٨

قرآنيات

مقدمة في تجويد القرآن

د. عادل عباس النصراوي ١٠

السنن الإلهية في القرآن الكريم وآثارها

فلاح العلياوي ١٨

آمن الرسول

حديث استجابة الدعاء تحت قبة الحسين عليه السلام

علي الفحام ٢٤

دور الإمام الصادق عليه السلام في تهيئة قيادات متميزة

د. محمد جواد فخر الدين ٣٦

استطلاع المجلة

مرقد السيد تاج الدين الآوي

حيدر الجد ٤٢

مع الفقيه

أجوبة استفتاءات مطابقة لفتاوى

سماحة السيد الحكيم (مدّ ظله) ٦٠

في ذمة الخلود

العالم الرباني آية الله السيد محمد علي الحكيم قدس سره

في سطور ٧٠

قصيدة: الآية الكبرى (السيد محمد علي الحكيم قدس سره)

أ. د. محمد حسين الصغير ٧٥

ص ٦٠

ص ١٢٠

ص ١٠

ص ٢٤

للفضيلة نجومها

من أعلام كربلاء.. الشيخ محمد تقي الشيرازي

سلمان هادي آل طعمة ٨٦

خطيب الكاظمية الشيخ كاظم آل نوح

د. جمال الدباغ ٩١

قراءات

قراءة في كتاب (شيعة العراق)

د. حيدر نزار السيد سلمان ١٠٠

طروحات عامة

أهمية رحلات الحج الفارسية في دراسة تاريخ النجف

د. نصير الكعبي ١٠٤

فكرة التسامح في تراث الأئمة عليهم السلام

فؤاد جابر كاظم ١١٠

علم العروض.. نشأته وأهميته

أ. م. نجم عبد الله الموسوي ١١٦

الزخرفة والتذهيب في المخطوطات

كريم نصيف جمعة ١٢٠

لقاءات

لقاء مع الدكتور عمر شهاب

السيد صالح الحكيم ١٢٤

في الذاكرة ٨٠

وقفة مع الذكرى ٨٣

أجوبة مسابقة العدد (٣٩-٤٠) وأسماء الفائزين .. ١٢٨

مسابقة العدد (٤٢) ١٢٩

ص ٧٠

ص ٣٦

ص ١١٠

ص ١٢٤

الدعوات الإصلاحية.. مواقفٌ وعبر

بسم الله الرحمن الرحيم

بعد المخض الكبير الذي عاشته أمتنا عبر السنين الطويلة من الزمن الصعب و الحياة المريرة جاء الفرج الأكبر فانقشعت تلك الغيوم التي كانت مخيمة على سمائنا. فبدأت الآمال تنسج من جديد كما بدأت الرؤى تختلف عن ذي قبل. فالكل يسبح في خياله الواسع ويصور الحياة المستقبلية بشكل فاره ، ويعتبر المستقبل مضمونا بيده له أن يجعله كيفما شاء. هكذا كان حال عموم الأمة بعد جلاء الغمة.

أما المتصدون للشأن العام الذين وضعوا على عواتقهم ـ حسب الوعود ـ نقل الأمة من الجور إلى العدل ومن الظلم إلى القسط... وتعهدوا رسم الخطط الكفيلة بالنقلة التاريخية التي تمنتها الأمة على طول حياتها المريرة، وراحوا ينسجون من واسع خيالهم ويمنون الشعوب بكل ما منعوا منه خلال الفترة المظلمة من الزمن، وبلهفة كبيرة بدأت تنسجم الآمال بين الشعوب والمسؤولين وراح كل منهم ينسجم مع الآخر في رواه وأفكاره، من أجل النهوض نحو مستقبل آمن وحياة مثالية طالما حلمت بها النفوس ولكن هيهات هيهات من تحقق الأمنيات.

ومن هذا المنطلق بدأت القواعد الشعبية تقدم التضحيات الجسام من أجل عبور هذه المرحلة.. مرحلة التغيير بعد استشعارها من المعنيين بالتزام الخطط الكفيلة بالتغيير الحلم.

وما أن وصولوا إلى نقطة الانطلاق نحو تحقيق الأهداف، بدأت المصالح تأخذ حيزها في الواقع الخارجي، وبدأت النفوس تتأرجح بين حب الذات وإشباع الغرائز، وفجأة انحرفت نقطة الانطلاق وتلونت بلون آخر غير المتفق عليه بل نسيت جميع الآمال الشعبية والتضحيات الجسام المقدمة من أجل إنجاح المشروع الكبير. حتى عادت الخيبة على نفوس المظلومين وانكسفت الآمال وبدأنا بمخض جديد يختلف عن سابقه بالأسماء فقط مع المحافظة على محتواه.. ليت شعري لماذا هذا النكوص ولماذا نسيان الجميل؟!

وما أن شعر المعنيون بتخلي الأمة عنهم وهبوط

معنوياتهم تجاههم عادوا مرة أخرى بالوعود والتمنيات من أجل الاستمرار على المناصب والاستحواذ على المصالح العامة والاستئثار بها، فانطلت الخدعة على الشعوب مرة ثانية، وما أن بدأت المرحلة الأخرى حتى عادت الحالة جذعاً، وبدأت المصالح الشخصية تلعب دوراً كبيراً وفاعلاً في ساحة الصراعات المريرة حتى نسيت الشعوب وظلاماتها وانعكف المعنيون على صراعاتهم لتحصيل المكاسب بنحو أفضل، وإرواء غرائزهم والتمتع بالملاذ وحب الذات.. فاستشعرت الأمة بالخيبة الكبيرة هذه المرة ووقفت موقف الآيس من تحقيق الآمال واسترداد الحقوق.

وفي خضم هذه التجاذبات الكبيرة انكشفت حقائق طالما كانت غائبة على الصعيد العام ـ وإن كانت محط نظر أصحاب العبر والتجارب ـ فضعف النفوس أمام المغريات وحب الذات والأنانية التي جبل عليها الإنسان لا تتناسب مع دعوة الإصلاح والإنصاف للمظلومين والمطالبة بالحقوق الضائعة، ولا يمكن تصديق ذلك في حال من الأحوال إلا في حالات نادرة تتحقق في الواقع من قبل أناس معصومين أو هم في مراتب عالية قريبة من العصمة.

كما أن المشاريع الإصلاحية مهما فرضت لا بد لها من أمد محدود حتى يظهر فشلها وفشل الدعاة لها بشكل فاضح، وهذا ما نراه اليوم، فإن الدعوة الإصلاحية المفترضة التي قامت على أكتاف القواعد الشعبية وتلونت بدمائها طوال الأربعين عاماً أصبحت اليوم مهزلة من مهازل الواقع الخارجي، وقد منيت بفشل ذريع اعترف به جلّ أصحابها، ويكفينا ما جنيناه في هذه الفترة على صعوبة الظروف وقساوة الوضع وسوء الأحوال ـ والأجر بعد ذلك على الله تعالى ـ أن ينتهي المجد ـ خلال الأربعة عقود من الزمن ـ ويعترف بالفشل وعدم إمكان الاستمرار على هذه الحال، بل الاعتراف بأنه لابد من تغيير بعض الضوابط العامة للمشروع لتتلاءم مع معطيات الواقع الخارجي.

كما نستكشف من خلال هذه المعطيات قوة الرسالة السماوية التي استمرت ـ حتى الآن ـ بما يزيد على الأربعة عشر قرناً، وهي ممتدة بامتداد الدنيا حتى نهايتها من دون ضعف ولا تلكؤ وما ذلك إلا بإخلاص الدعاة إليها ـ بعد التسديد الإلهي ـ ونسيان ذاتهم والتركيز على التعاليم السماوية والاهتمام بشؤون المؤمنين. بل نستخلص من ذلك أن كل دعوة لا تقوم على ذلك الأساس المتين وليست بيد الدعاة المخلصين الذين تمدهم اليد السماوية دعوة فاشلة ليس لها حظ من النجاح سوى عقود معدودة من الزمن.

ونحن في هذا الصدد نذكر إخواننا المؤمنين أن ينعموا بالحكمة والتروي في فهم الحقائق وأن لا تلتبس عليهم الدعوات الضالة ويصبحوا غرضاً للأهواء تتقاذفهم من هنا وهناك، بل ليستيقنوا أن الفشل حليف الدعوات الإصلاحية المزعومة إذا لم تبتن على أسس صحيحة دينية واعتقادية مع إخلاص القائمين عليها والداعين إليها والعاملين بها. والحمد لله الذي زادنا بصيرة و فقهنا واقعنا المرّ مع شدة المحنة وضياع الحقوق وله المنة. وهو حسبنا ونعم الوكيل ■

المشرف العام

مقدمة في تجويد القرآن

د. عادل عباس النصراوي •
مركز دراسات الكوفة/ جامعة الكوفة

ينابيع

لم يحظ كتاب في الدنيا من العناية والاهتمام والدرس كما حظي بها القرآن الكريم على مر العصور والأزمان، فقد كان موضع اهتمام علماء اللغة والفقه والأصول وعلماء الكلام والفلسفة والمنطق وباقي العلوم الأخرى.

لأن القرآن نور لا تطفأ مصابيحه، وسراجاً لا يخبو توقده، وبحر لا يدرك قعره، فالكل يغترف من معينه، ويستضيء بنوره، وينهج منهجه، فهو البنيان الذي لا تهدم أركانه، والمسند الذي يركن إليه أهل العلم والفهم، ففيه يجدون ضالتهم، فحامت حوله كل دراساتهم، خدمة له، فكشف علماء اللغة عن غريب ألفاظه، فألفوا كتب غريب القرآن وغيره، ودرس علماء النحو، وارجعوا كلَّ قواعده إليه مستشهدين به وطلاب الفلسفة اتخذوا منه أصلاً لبناء فلسفة إسلامية، وجعل منه علماء الكلام منهجاً لحواراتهم وأساساً لقواعدهم الكلامية، وكان علماء الفقه والأصول قد أصلوا لاستنباطاتهم وأحكامهم من وحيه، فدرسوا آيات الأحكام، وأسسوا أصولهم على هديه ومنهاجه، أما قراء القرآن فقد أرسوا دعائم قراءته وأصول التلفظ في كلماته، فأوضحوا ما وقع فيها من خلاف فأرجعوه إلى لهجات العرب ولغاتهم، فكان كل قارئ يقرأ بما قرأ به شيخه وأستاذه عن أساتذته، بيد أن خلافاً وقع في الأخذ بهذه القراءات، وذلك كان مرجعه إلى صحتها أو عدمها، وبقيت النظرة متأرجحة بين التقديس

والمناقشة، فمن يقدسها يعدها قرآناً ومن يناقشها يعدها علماً بكيفية أداء كلمات القرآن، وفرق بين القرآن وأداء القرآن[1].

فمن الذين جعلوا القراءات بمنزلة القرآن أبو بكر الباقلاني (ت٤٠٣هـ) إذ يذهب إلى: (أن القراءات قرآن منزل من عند الله تعالى، وأنها تنقل خلفاً عن سلف، وأنهم أخذوها عن طريق الرواية، لا من جهة الاجتهاد، لأن المتواتر المشهور أن القراء السبعة إنما أخذوا القرآن رواية، لأنهم يمتنعون من القراءة بما لم يسمعوه)[2].

وخالفه الزركشي (ت:٧٩٤هـ) إذ جعلهما حقيقتين مختلفتين، فقال (القرآن والقراءات حقيقتان متغايرتان، فالقرآن هو الوحي المنزل على محمد صلى الله عليه وآله للبيان والأعجاز، والقراءات: اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في الحروف وكيفيتها من تخفيف وتثقيل وغيرهما)[3].

وقد وافق الزركشي جملة من المتأخرين منهم، الأمام أبو القاسم الخوئي رحمه الله وازداد عليه، وقال: (إنها غير متواترة بل القراءات بين ما هو اجتهاد من القارئ، وبين ما هو منقول بخبر الواحد)[4]، وتابعه الدكتور محمد حسين الصغير بقوله: (والحق أنه لا علاقة بين حقيقة القرآن وحقيقة القراءات، فالقرآن هو النص الآلهي المحفوظ والقراءات أداء نطق ذلك النص اتفاقاً أو اختلافاً، والقرآن ذاته لا اختلاف في حقيقته إطلاقاً)[5].

لقد انعقد اجتماع المسلمين على حجية القراءات وتواترها، سواء كان تواترها عن النبي محمد صلى الله عليه وآله أم على جواز القراءة بها في الصلاة وغيرها[6]، فعن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام، قال: (اقرأوا كما علمتم)[7].

إذا كان علم القراءات يهتم بوجوه النطق في القراءة، فان علم التجويد يهتم بكيفية النطق وتجويد الألفاظ والوقوف على حقائق الكلام من حيث إعطاء الحروف حقها وبيان أحكامها في مواضع إنشائها وصفاتها[٨].

فالتجويد في اللغة من الفعل جود. قال بن منظور (ت:٧١١هـ): (وجاد الشيء جودة وجودة، أي صار جيداً، وأجدتُ الشيء فجاده، والتجويد مثله)[٩].

وقال الجزري(ت: ٨٣٣هـ): (التجويد مصدر من جوّد تجويداً، والاسم منه الجودة ضد الرداءة، يقال جود فلان في كذا، إذا فعل ذلك جيداً، فهو عندهم عبارة عن الإتيان بالقراءة مجودة الألفاظ بريئة من الرداءة في النطق، ومعناه انتهاء الغاية في التصحيح وبلوغ النهاية في التحسين)[١٠]، إذ أن الصوت الحسن مجود للألفاظ وموضح لمخارجها ومبين لصفاتها، وقد سئل أمير المؤمنين علي عليه السلام عن قوله تعالى: (ورتل القرآن ترتيلا)[١١]، قال: بيّنه تبياناً ولا تهذه هذَّ الشعر، ولا تنثره نثر الرمل)[١٢]، ونقل عن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام قول رسول الله صلى الله عليه وآله: (اقرأوا القرآن بألحان العرب وأصواتها، وإياكم ولحون أهل الفسق وأهل الكبائر، فانه سيجيء من بعدي قوم يرجعون القرآن ترجيع الغناء والنوح والرهبانية)[١٣]، ففي ألحان العرب وأصواتها، إعطاء كل حرف حقه، وإخراجه من موضعه الصحيح كي يكون صوتاً حسناً وتجويداً جميلاً يتحلى به القرآن، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (لكل شيء حلية، وحلية القرآن الصوت الحسن)[١٤].

ووصف ابن الجزري التجويد بقوله: (التجويد حلية التلاوة وزينة القراءة وهو إعطاء الحروف حقوقها وترتيبها على مراتبها، ورد الحرف إلى مخرجه وأصله وإلحاقه بنظيره وتصحيح لفظه وتلطيف النطق به على حال صيغته وكمال هيئته من غير إسرافٍ وتعسف ولا إفراط ولا تكلف، وإلى ذلك أشار النبي صلى الله عليه وآله بقوله: (من أحب أن يقرأ القرآن غضاً كما نزل، فليقرأ بقراءة ابن أمّ عبد يعني عبد الله بن مسعود)[١٥]، فكان ابن مسعود رضي الله عنه حسن الصوت، يتأنق فيه ويتتبع محاسن القرآن في ذلك، قال في صفة القرآن: (إذا وقعت في آل حم[١٦] وقعت في روضاتٍ دمثاتٍ أتأنق فيهن)[١٧] أي يتتبع محاسنهن من أجل أوزان الكلمات ومن أجل الفواصل[١٨]، فيعطي كل حرف حقه في الصنعة والمخرج، وأي خروج عن ذلك يصيب اللفظة بالضعف والوهن وغموض الدلالة وذهاب الزينة والرونق، قال ابن مسعود: (جردوا القرآن، وزينوه بأحسن الأصوات، واعربوه، فانه عربي وأن الله عز وجل يحب أن يُعربَ به)[١٩]، فاعرابه إيضاح ألفاظه وبيان قدرتها في تزيين القرآن، وإبعاد القارئ عن اللحن والخطأ والزلل، فالواجب تعلم العربية لتكون وسيلة لفهم القرآن، وقد نقل عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قوله: (تعلموا العربية في القرآن كما تعلمون حفظه)[٢٠]، كي لا يقع المقرئ الخطأ واللحن المؤدي إلى الإثم وارتكاب المعصية، إذ تبطل الصلاة عندما لا تنطق الحروف في الآية من مخارجها وإعطائها حقها من الجهر والهمس وغيرها من الصفات[٢١].

لقد حث الله تعالى على تعلم القرآن وتلاوته وحفظه، ونهانا عن ترك قراءته

أو الإعراض عنها ونسيانها، ففي تعلمه خير الدنيا وخير الآخرة، قال تعالى: (**إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ* لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ**)[٢٢].

ووصفت آيات اللّه حال المؤمنين عند تلاوة الذكر الحكيم، فقال تعالى: (**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ**)[٢٣].

وجاء فيه أيضاً وجوب تذكره وتلاوته وحسن تدبره فقال سبحانه: (**الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُوْلَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمن يَكْفُرْ بِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ**)[٢٤].

فكأنه يشير إلى أن عدم إعطاء المقرئ آيات اللّه حقها من التلاوة خروج عن الطريق الصحيح، ونتيجته الخسران.

وحث أيضاً على الاستماع له والإنصات، قال تعالى: (**وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُواْ لَهُ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**)[٢٥].

ووصف النبي محمد صلى الله عليه وآله المؤمن الذي يقرأ القرآن كالأترجة، قال (مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن كالأترجة ريحها طيب وطعمها طيب، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل الثمرة التي لا ريح لها، وطعمها حلو، ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن كمثل الريحانة ريحها طيّب وطعمها مرّ، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة لا ريح لها وطعمها مرّ)[٢٦].

وقال الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: (من قرأ القرآن فهو غني ولا فقر بعده، وإلا ما به غنى)[٢٧]، فهذا فضل قراءة القرآن وتلاوته.

طرق التلاوة:

يقرأ القرآن الكريم - كما ذكرت - مجوداً بألحان العرب وأصواتها وبتحسين اللفظ وإعطاء الصوت حقه بقدر الاستطاعة، وهذا مما يحتاج اليه القارئ، وقد تسالم علماء القراءات والتجويد على الطرق الآتية:

١ - **التحقيق**: هو مصدر من حققت الشيء تحقيقاً إذا بلغت يقينه، ومعناه - كما يذكر ابن الجزري - في الإتيان بالشيء على حقه من غير زيادة فيه ولا نقصان منه، وهو إعطاء كل حرف حقه من المخارج والصفات والأحكام وإشباع المدّ وتحقيق الهمز وإتمام الحركات واعتماد الإظهار والتشديدات وتوفيه الغنات وتفكيك الحروف وإخراج بعضها بالسكت والترسل واليسر والتؤدة وغيرها من الأحوال الأخرى التي تخص

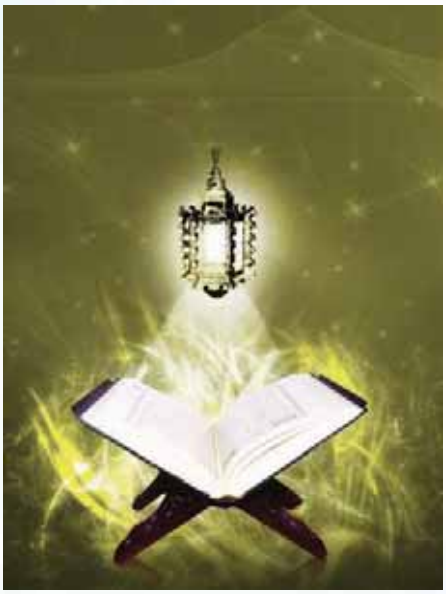

الحروف ومخارجها وصفاتها وسلوكها في التركيب اللفظي والجملي إذ أن التحقيق يفيد في رياضة الألسن وتقويم الألفاظ وإقامة القراءة بغاية الترتيل فلا إفراط فيه ولا تفريط[٢٨].

٢ ـ الترتيل: هو الترسل في القراءة والتبيين و التمهل والتأني، ويقال: كلام مرتل حسن، وإنما يتم ذلك بالمكث فيها والترسل وتبيين الحروف وتوفيتها حقها ومستحقها، قال مجاهد في الترتيل (بعضه إثر بعض على تؤده)[٢٩].

والترتيل يكون للتدبر والتفكير والاستنباط، فيكون كل تحقيق ترتيل، وليس كل ترتيل تحقيقاً[٣٠]، وقد سئل أمير المؤمنين علي عليه السلام عن قوله تعالى: (**وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلا**)[٣١]، فقال: (الترتيل: تجويد الحروف ومعرفة الوقوف)[٣٢].

٣ ـ الحدر: هو مصدر من حَدَرَ بالفتح، يحدُرُ بالضم إذا أسرع فهو من الحدود الذي هو الهبوط، فالإسراع يكون من لازمِهِ بخلاف الصعود، فالحدر في القراءة عبارة عن إدراجها وسرعتها وتخفيفها بالقصر والتسكين والاختلاس والبدل والإدغام الكبير وتخفيف الهمز ونحو ذلك[٣٣]، أو هي إدراج القراءة والسرعة فيها، وذلك بتخفيفها من بعض الأحكام المذكورة سابقاً مع وجوب المحافظة على الأداء السليم للحروف وصفاتها وأحكامها[٣٤].

٤ ـ التدوير: وهو قراءة وسط بين الترتيل والحدر، أو هو التوسط بين المقامين، وقد ورد هذا المعنى عن أكثر أئمة القراءة، فمنهم من روى مدّ المنفصل، ولم يبلغ فيه حدّ الاشباع، وهو المختار عند أكثر أهل الأداء، قال ابن مسعود: (لا تنثروه ـ يعني القرآن ـ نثر الدقل، ولا تهذوه هذَّ الشعر)[٣٥]، ومثالها أم يمدّ القارئ بهذه الطريقة العارض للسكون بمقدار أربع حركات، وهذه حالة متوسطة بين القصر بمقدار حركتين في حالة الحدر أو الأشباع بمقدار ست حركات في حالة الترتيل[٣٦].

إذا كانت هذه الطرق في التلاوة هي سالك اتخذها القراء في كيفية أداء القراءة في القرآن الكريم بين تحقيق اللفظ من غير زيادة أو نقص أو التمهل والتدبر والاسترسال، أو هو أداء يتسم بالسرعة والتمهل وتخفيف بعض لوازمها بالقصر والتسكين أو اختلاس الأصوات وغيرها.

٥ـ اللحن: اللحن هو الخطأ في كلمات القرآن وألفاظه والانحراف عن الصواب فيها عند تلاوتها أو قراءتها، وإن على القارئ المجود أن يتجنب الخطأ في التلاوة لأن ذلك من أعظم ما يقع فيه من تحريف لكلام الله تعالى، واختلاف الدلالة والانحراف عن الصواب، وإنما يكون ذلك في معرفة إعرابه والوقوف على تصرف كلماته وحركاته، قال مكي بن أبي طالب(ت٤٣٧هـ):

(ورأيت من أعظم ما يجب عليه الطالب لعلوم القرآن، الراغب في تجويد ألفاظه وفهم معانيه ومعرفة قراءاته ولغاته، وأفضل ما القارئ إليه محتاج، معرفة إعرابه، والوقوف على تصرف حركاته وسواكنه، ليكون بذلك سالماً من اللحن فيه، مستعيناً على أحكام اللفظ به، مطلعاً على المعاني التي تختلف باختلاف الحركات، متفهماً لما أراد الله به من عباده إذ بمعرفة حقائق الأعراب تعرف

أكثر المعاني، وينجلي الإشكال، وتظهر الفوائد ويفهم الخطاب)[٣٧].

فعند وقوع الخطأ في الإعراب، لم تعرف المعاني ولم يفهم الخطاب الإلهي إلى العباد، ولذا فعلى القارئ المجود أن يكون ملما بعلم إعراب القرآن وقراءاته، وأصول تلاوته وتجويده ليكون بمأمن من الوقوع في الخطأ. وقسم علماء التلاوة والتجويد اللحن على قسمين:

١ ـ اللحن الظاهر: وهو خطأ يطرأ على اللفظ بسبب مخالفته لقواعد القراءة ومقاييس التلاوة وقواعد اللغة وإعرابها، والوقف في غير محله المؤدي إلى انحراف الدلالة وغموض المعنى، والقارئ يأثم بفعله هذا إن تعمده، وسمي (جلياً) لظهوره وعدم خفائه[٣٨]، ومن هذا اللحن ما وقع من خطيب خطب بين يديّ رسول الله ﷺ قائلاً: (ومن يُطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعصهما. ثم وقف على (يعصهما)، ثم قال: فقد غوى. هنا قال له النبي ﷺ: بئس الخطيب أنت)[٣٩].

إنما قال له ذلك لقبح لفظه في وقفه، إذ خلط بين الإيمان والكفر في إيجاب الرشد لهما، وكان الحق أن يقول: ومن يعصهما فقد غوى، أو أن يقف على (فقد رشد) ثم يستأنف بعد ذلك (ومن يعصهما)[٤٠] فتتضح الدلالة ويستقيم الكلام. ومثاله أيضاً فتح تاء المضارعة الرباعي، وفتح تاء الفاعل المضمومة، وغيرها.

٢ ـ اللحن الخفي: وهذا اللحن لا يخص قواعد الإعراب ولا يخلّ بها بل هو خطأ يطرأ على اللفظ بسبب مخالفته لكمال الضبط ونهاية الحسن، ولا يخلّ بالمعنى، وسمي (خفيا) لعدم إدراكه من قبل كل الناس، بل يدركه القرّاء والأئمة، من نحو ترك الغنّة أو نقص المدّ[٤١]، ومن صوره ترقيق لام لفظ الجلالة في قوله تعالى: (قُلْ هُوَ اللّه أَحَدٌ)[٤٢]، وكذلك تفخيم الراء في قوله تعالى: (وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ)[٤٣]، والصحيح ترقيقها، ومن صوره أيضاً المبالغة في نبر الهمزة أو إشباع الحركات.

التأليف في علم التجويد:

إن دراسة الأصوات والحروف وما يتعلق بها من المخارج والصفات أو ما يطرأ عليها من الإدغام والإبدال وغيرها، قد أخذت حيزاً كبيراً في كتب اللغة والنحو والصرف، وكذلك ما أشار إليه علماء القراءات وما ضمت كتبهم من هذه الظواهر الصوتية، فكان كلٌ ذلك يمثل البدايات الحقيقية لما كتب في التجويد الذي سبق الكتابة عنه بشكل مستقل.

إن أول من صنف في التجويد كتاباً مستقلاً هو موسى بن عبيد الله بن يحيى الخاقاني البغدادي (ت:٣٢٥هـ) إذ نظم قصيدة فيه. وذكر ابن الجزري ذلك وقال: (هو أول من صنف في التجويد فيما أعلم، وقصيدته الرائية مشهورة وشرحها الحافظ أبو عمرو)[٤٤]، وأول قصيدة الخاقاني:

أقول مقالاً معجباً لأولي الحجر
ولا فخر إن الفخر يدعو إلى الكبر

وعدد أبياتها واحد وخمسون بيتاً.

وقد شرح أبو عمرو الداني(ت:٤٤٤هـ) قصيدة الخاقاني في كتابه (شرح القصيدة الخاقانية)[٤٥]. وألف بعد القرن الرابع الهجري في علم التجويد علماء كبار نحو مكي بن أبي طالب(ت:٤٣٧هـ) فألف كتابه (الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة).

وألف أبو عمر الداني كتابه (التحديد في الإتقان والتجويد)، وألف عبد الوهاب القرطبي (ت:٤٦١هـ) كتابه (الموضح في التجويد)، وألف أبو الحسن شريح بن محمد بن شريح (ت:٥٣٧هـ) كتابه (نهاية الإتقان في تجويد القرآن)، وألف أبو الخير محمد بن محمد الجزري كتاب (التمهيد في علم التجويد) وألف السيد محمد الجواد العاملي (ت:١٢٢٦هـ) كتابه (قواعد التجويد)، وغيرهم.

أما من المحدثين، فقد ألف الدكتور محمد أحمد إبراهيم أبو فراخ كتابه (الوجيز في أحكام التجويد)، وألف الدكتور إبراهيم محمد نجا كتابه (التجويد والأصوات)، وألف محي الدين عبد القادر الخطيب كتابه (كفاية المستفيد في فن التجويد) وألف الأستاذ عبد الودود الزراري كتابه (مدخل إلى علم التجويد) وألف السيد فرج توفيق الوليد كتابه (قواعد التلاوة وعلم التجويد)، وألف محمد سعيد محمد علي ملحس كتابه (أحكام القرآن على رواية حفص بن سليمان)، وغيرها فضلاً عن كتب القراءات وعلوم القرآن التي تضمنت، فصولاً في علم التجويد.

ولم ينقطع التأليف فيه، بل بقيت الأقلام تكتب مختصرات ورسائل، وربما كان هذا الاتجاه في الكتابه بسبب كفاية هؤلاء المؤلفين بما كتب من قبل. فأوجزوا ما كتبوا وأشاروا إلى الأصول من هذه الكتب، فمن الرسائل التي ضمتها خزائن المخطوطات رسالة في التجويد للسيد محمد الجواد العاملي الحسيني (ت:١٢٢٦هـ) صاحب (مفتاح الكرامة)، ورسالة للشيخ أحمد الاحسائي (ت:١٢٤١هـ) ورسالة ثالثة للشيخ هادي كاشف الغطاء (ت:١٣٦١هـ)، وقد قمت بتحقيق هذه الرسائل، وقدمت لكل واحدة منهن دراسة وافية عن المؤلف ونسبه وعصره وتلامذته وأساتذته ومؤلفاته وغيرها من الأمور التي تخص

كل مؤلف منهم.

هذا وأسأل الله تعالى أن يوفقنا للعمل الصالح، إنه نعم المولى ونعم النصير. وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين ■

---

(١) ظ: دراسات قرآنية (تاريخ القرآن)، د. محمد حسين الصغير:١٢٢.
(٢) نكت الانتصار لنقل القرآن، الباقلاني:٤١٥.
(٣) البرهان، الزركشي: ٢٢٣/١.
(٤) البيان، الخوئي: ١٢٣.
(٥) دراسات قرآنية (تاريخ القرآن)، د. محمد حسين الصغير:١٢٣.
(٦) ظ: التبيان، الطوسي:٧/١، مجمع البيان، الطبرسي: م١٢/١.
(٧) الأصول من الكافي، الكليني:٦٣١/٢.
(٨) ظ: محاضرات في علوم القرآن، غانم قدوري الحمد: ١٨٧.
(٩) لسان العرب، ابن منظور: ٤١١/٢ - جود.
(١٠) النشر، الجزري: ١٦٧/١.
(١١) سورة المزمل/الآية:٤.
(١٢) الأصول من الكافي، الكليني:٦١٤/٢.
(١٣) م.ن: ٦١٤/٢.
(١٤) الأصول من الكافي، الكليني:٦١٦/٢.
(١٥) النشر، ابن الجزري:١٦٨/١.
(١٦) آل حم: هي السور المفتتحة بـ(حم) نسبت إليه، كما يقال: آل فلان، وذلك في جعل (حم) حرفاً واحداً، والعرب تقول: آل حم، والحواميم، وفي الأخيرة اختلاف، قال الكميت:

وجدنا لكم في آل حم آيةً
تأولها منّا تقي ومغرب

ظ: الوقف والابتداء، ابن سعدان الضرير: ٨٣-٨٤، الهاشميات، الكميت:٤٠.
(١٧) ظ: مجمع البيان، الطبرسي: م٤ -٥١٢.
(١٨) ظ: دلائل الأعجاز، الجرجاني:٣٨٨-٣٨٩.
(١٩) الوقف والابتداء، ابن سعدان الضرير:٦٨.
(٢٠) م.ن:٧٥.
(٢١) ظ:
(٢٢) سورة فاطر/ الآيتان ٢٩ و٣٠.
(٢٣) سورة الأنفال/الآيتان ٢ و٣.
(٢٤) سورة البقرة/الآية:١٢١.
(٢٥) سورة الأعراف/الآية٢٠٤.
(٢٦) ظ: فتح الباري، ابن حجر:٦٦/٩ (حديث ٥٠٢).
(٢٧) الأصول من الكافي، الكليني: ٦٠٥/٢.
(٢٨) ظ: النشر، ابن الجزري:١٦٣/١، الوجيز في أحكام التجويد، د. محمد أبو فراخ:٢٧.
(٢٩) ظ: التعريفات، الجرجاني:٥١، الوجيز في أحكام التجويد، د.محمد أبو فراخ:٢٧.
(٣٠) ظ:النشر، ابن الجزري:١٦٦/١.
(٣١) سورة المزمل/الآية٤.
(٣٢) ظ: النشر، ابن الجزري:/١
(٣٣) ظ:النشر، ابن الجزري:١٦٤/١.
(٣٤) ظ: الوجيز في أحكام التجويد، د.محمد أبو فراخ:٢٨.
(٣٥) ظ: النشر، ابن الجزري:١٦٤/١ -١٦٥.
(٣٦) ظ: الوجيز في أحكام التجويد، د. محمد أبو فراخ:٢٨.
(٣٧) مشكل أعراب القرآن، مكي بن أبي طالب:١١.
(٣٨) ظ: الوجيز في أحكام التجويد، د. محمد أبو فراخ:٤٧.
(٣٩) المصباح الزاهر، الشهرزوري:٧٢/١.
(٤٠) ظ: المصباح الزاهر، الشهرزوري:٧٣/١.
(٤١) ظ:الوجيز في أحكام التجويد، د. محمد أبو فراخ:٤٩.
(٤٢) سورة الإخلاص/الآية ١.
(٤٣) سورة لقمان/الآية:١٨.
(٤٤) ظ: غاية النهاية، ابن الجزري:٣٢١، كشف الظنون، حاجي خليفة:٣٥٤/١.
(٤٥) ظ: كشف الظنون، حاجي خليفة:١٣٣٧/٢.

السنن الإلهية في القرآن الكريم وآثارها

فلاح العلياوي •

ينابيع

اجمع العقلاء وفي كل العصور على وجود نظام دقيق ومن ورائه حكمة بالغة وعقل مدبر وعلم محيط وقوة قاهرة جبارة ولطف خفي، يُسيّر عالم الموجودات، إنها قدرة الخالق العظيم والرب الرحيم سبحانه وتعالى، فقد رسم خارطة طريق لكل موجودات الكون ابتداءاً من نواة الخلية أو أصغر وانتهاءً بالمجرة أو أكبر، ولولا هذا النظام وهذه السنن لما صار عالم الإمكان، ولما صار الوجود.

فقد خلق الله الأشياء في الوجود ومنحها صفاتها، فسن لكل شيء منهجاً وطريقة لديمومة بقائه، فجعل بعض الموجودات صلبة كالصخر والمعادن وجعل بعضها مائعاً كالماء والسوائل وغازاً كالهواء وجعل بعضها ليناً وجعل بعضها يابساً وجعل النهار منوراً وجعل الليل مظلماً وجعل العين مبصرة والأذن سامعة وجعل النار محرقة وجعل الحياة في الماء وجعل الموت على الأحياء....

خلق الله الكون وما حوى، من فيض لطفه ورحمته، وفق نظام متناه في الدقة، مما حدا بالعلماء أن يبنوا نظرياتهم وقوانينهم ويصدروا نشراتهم العلمية، استنادا إلى تلك الدقة المذهلة في النظام الكوني، وعرفوا من خلال ذلك الوقت الذي تقطعه الأرض بدورانها حول الشمس، أو دوران القمر حول الأرض،

وعرفوا أيضا ساعات اليوم والشهر والسنة، وبداية كل شهر شمسيا كان أم قمريا، فعرفوا خسوف القمر أو كسوف الشمس لمئات بل لآلاف السنين القادمة، وحددوا مسارات الكواكب والأجرام السماوية والأبعاد والمسافات بين تلك الكواكب. وقد نوه القران الكريم في كثير من آياته إلى النظم التي تُسيّر هذا الكون، قال تعالى: (**وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ * وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ * لَا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ**) (يس:٤٠)، فبهذه القوانين التي أودعها الله في الكون ـ مثل قانون الجاذبية ـ تتم حركة هذا الكون، ويسير وفق نظام قد رسمه له الخالق سبحانه، أي أنه يسير بموجب سنة سنها الله له، فلا يحيد عن هذه السنة طرفة عين أبدا، وإلا لتبعثرت الكواكب والنجوم ثم اصطدمت ببعضها وتفجرت في الفضاء وانتهى كل شيء.

وكذلك جميع القوانين التي تنظم عالم الموجودات، هي سنن إلهية، كنظام الحياة، ونظام الزوجية ونظام الأمومة، ونظام الأمم والشعوب، ونظام اللغات، ونظام الموت، ونظم أخرى رئيسية وفرعية كثيرة جدا، فهي سنن إلهية لا

يمكن تخطيها أو تجاوزها.

وكمثال على هذه السنن، والتي هي من الآيات والأسرار العظيمة التي أودعها الله في مخلوقاته هي (الغرائز)، ولعل أهمها (الغريزة الجنسية)، أو الاحتياج الجنسي، وبالتالي (نظام الزوجية العظيم)، وخلق الذكر والأنثى من كل نوع في الوجود، واحتياج كل من الذكر والأنثى للآخر، وسر انجذاب احدهما للآخر، الذي يجعلك تشعر وكأن المخلوق الأول قد شطر نصفين (ذكر وأنثى)، أو سالب وموجب ليستديم هذا الانجذاب وهذا الاحتياج ليكمل احدهما الآخر حين اللقاء، ثم لينجبا مخلوقا جديدا من ذات النوع يحمل إحدى صفات الأبوين من ناحية الذكورة أو الأنوثة، فلا يولد مخلوق جديد إلا بانجذاب الأبوين الذكر والأنثى والتقائهم، وهكذا لتستمر الحياة، وخير من يؤيد هذه الفكرة ما روي عن أبي جعفر الباقر عليه السلام: (إن الله خلق حواء من فضل

الطينة التي خلق منها آدم) (بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ١١ - ص ٩٩). أي من ذات الطينة التي خلق منها آدم، وهذا مثل وأنموذج لخلق الذكر والأنثى، وكذا جميع الأنواع فإن ذكرها وأنثاها خلقا من مادة واحدة، ليكمل أحدهما الآخر وليتم التناسل. إنها سنة الله في ديمومة الحياة.

لقد بين القران الكريم هذه السنة الإلهية ـ الخلق عن طريق الذكر والأنثى ـ ليس لخلق الإنسان فحسب (**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى...**) (الحجرات:١٣)، وإنما لخلق الحيوان والنبات أيضا، قال تعالى: (**جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا**) (الشورى:١١) بل تعدى ذلك في الإشارة إلى سنة الله في الخلق من الزوجين حتى لبعض المخلوقات التي لم تدركها عقولنا ولم تعرفها علومنا، فضلا عن الإنسان والحيوان والنبات، قال تعالى:

(**سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ**) (يس:٣٦).

وقد زاد على ذلك ليبين لنا سنة الزوجية في الخلق كافة بقوله تعالى:

(**وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ**) (الذاريات:٤٩).

وهذه دلالة واضحة على أن جميع المخلوقات حتى الجمادات منها خاضعة لهذه السنة الإلهية، وهي الخلق أزواجا أزواجا، وما نظام الأقطاب الموجبة والسالبة وانجذاب المختلف وتنافر المتشابه، والذي نتج عنه (نظام الجاذبية)، وبه تحددت مسارات الكواكب في أفلاكها، واعتدلت في مداراتها وفق ميزان دقيق، ولولاه لما استمر الكون

في حركته ثم وجوده، إلا صورة من سنة الزوجية في هذا الكون،وهذا من أظهر النعم التي أفاضها الله على الوجود، ومن أوضح السنن الإلهية في الكون.

نصل بذلك إلى أن كل سنة من سنن الله في الكون لها آثارها وعواقبها، فحركة الأرض والشمس آثارها الليل والنهار والفصول الأربعة، وسنة نزول المطر نتيجته وعاقبته خروج الزرع، وسنة التقاء الذكر والأنثى آثاره التناسل والتكاثر.

فإذن، نفهم من ذلك أن هذه السنن والقوانين هي مقدمات لنتائج، وهذه النتائج قد تكون سنن ومقدمات لنتائج أخرى ، وهكذا تستمر المقدمات والنتائج سنن مرتبطة بسنن أخرى.

هناك سنن مرتبطة ببعضها ارتباطا ماديا فقط، فمثلا الكائنات الحية خلقت وفق سنة ونظام، وبما أنها حية فتحتاج إلى سنة ديمومة الحياة والحياة تحتاج فيما تحتاج إلى الماء، وسنة شرب الماء يؤدي إلى الارتواء وديمومة الحياة ومخالفة هذه السنة أي عدم شرب الماء يؤدي إلى العطش ثم الهلاك وبذلك تتوقف الحياة. وبعبارة أخرى أن لا حياة بلا الماء، وقد بين الله سبحانه هذه السنة بقوله: (**وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ**) (الأنبياء:٣٠)، نلاحظ أن تسلسل هذه السنن ماديا فقط، أي ارتباط بين الحياة والماء، وهناك سنن مادية مرتبطة بنتائج وسنن مادية أو معنوية أو هما معا، مثل حركة الكواكب ودقة نظامها ودوران الأرض حول محورها وحول الشمس وما ينتج من الليل والنهار والشهور والفصول الأربعة والخسوف والكسوف، وهذه يترتب عليها السنن والفروض الإلهية على الإنسان كالصلاة والصيام والحج والخمس والزكاة، وغيرها، والتي بدورها تعتبر سنن لها آثارها ونتائجها. وهكذا جميع السنن الإلهية. (**فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللهِ تَحْوِيلا**) (فاطر:٤٣).

السنن التشريعية:

هذا من ناحية السنن الإلهية في الماديات المحسوسة، وقد قدمنا ذلك لنتوصل من خلالها إلى السنن التشريعية التي تنظم حياة الفرد والمجتمع، باعتبارها الأمر الذي جاءت من اجله الرسالات والرسل، بل هي غاية الخلق والوجود، ولنعرف من خلالها مكامن الخطر التي تحيط بالإنسان كي نتجنبها، وسبل الخير والسعادة كي ننتهجها ونفعلها.

نستطيع أن نقسم السنن التشريعية بحسب آثارها، كما يلي:

أولاً: السنن ذات الآثار الدنيوية التي وردت في القران الكريم، ومنها على سبيل المثال:

- إِن تَنصُرُوا اللَّه...=.... يَنصُرْكُمْ.. وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ.
- وَمَن جَاهَدَ....=...فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِه.
- وَمَنْ نُعَمِّرْهُ....=.... نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ.
- وَمَن يَتَّقِ اللَّه....=.... يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا.
- وَمَن يَتَّقِ اللَّه....=.... يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا.. وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ.
- فَأَمَّا الزَّبَدُ...=... فَيَذْهَبُ جُفَاءً... وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ...=... فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ.
- وَمَن يَبْخَلْ....=.... فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِ.

ثانياً: السنن ذات الآثار الأخروية التي

وردت في القران الكريم، ومنها على سبيل المثال:

- إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا...=...إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا.. وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا.

- إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ....=... نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ...وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلاً كَرِيمًا.

- وَمَن كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى....=.... فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَى...وَأَضَلُّ سَبِيلاً

- وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ....=....فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا.

- وَمَن يَتَّقِ اللّه....=....يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ..وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا

- وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ....=.... يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا

- مَن جَاء بِالْحَسَنَةِ...=... فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا.

ثالثاً: السنن ذات الآثار المشتركة (دنيوية وأخروية) التي وردت في القران الكريم، ومنها على سبيل المثال:

- وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي..=..فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا..وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى.

- ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاؤُوا....=.... السُّوأَى.

- وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ....=.... نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ.

- وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللّهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءتْهُ....=.... فَإِنَّ اللّه شَدِيدُ الْعِقَابِ.

- وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ....=....إِلَّا بِأَهْلِهِ.

- إِنْ أَحْسَنتُمْ...=....أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ. وَإِنْ أَسَأْتُمْ....=.... فَلَهَا.

- مَنْ عَمِلَ صَالِحًا...=... فَلِنَفْسِهِ..وَمَنْ أَسَاء...=... فَعَلَيْهَا.

هذه بعض الأمثلة عما ورد من السنن في القران الكريم،وكلام الله واضح لا يحتاج إلى إيضاح. ويتبين ذلك جليا من القصص والحكايات التي حكاها القران الكريم عن الأمم السالفة.

فالقرآن ليس كتاب حكايات وقصص وإنما كتاب هداية، ومقتضى الهداية يتطلب ذكر مصائر الأمم والشعوب السابقة التي التزمت بنهج الله وقوانينه وتلك التي تمردت على الله ومناهجه ورسله (**تِلْكَ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَآئِهَا**) (الأعراف:١٠١)، ثم يوضح سبحانه في موضع آخر غاية سرد هذه القصص بقوله: (**يُرِيدُ اللّه لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ**) (النساء:٢٦) وكذلك قوله: (**قَدْ خَلَتْ من قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَانْظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ**) (آل عمران:١٣٧).

ختاماً نقول: إن القرآن الكريم مليء بالآيات المباركات التي توضح وبشكل لا يقبل التأويل أن الذي يسير وفق السنن المرسومة له ينجو ويفوز وبالعكس تماما من يخالف هذه السنن يهلك ويخسر، فلا يلومن إلا نفسه ، (**أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللّه لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُواْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ**) (التوبة:٧٠)،(**وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ**) (الأعراف:٩٦).

تماماً كما في الأمور المادية، كمن يضرب جسده (الطري) بصخرة (صلبة)، ما هي النتيجة؟

مسجد مرجان

يقع مسـجد مرجان في قازان (تترسـتان) حيث بني في اعوام ١٧٦٦ - ١٧٧٠ بموافقة شـخصية من الامبراطورة الروسـية كاترينا الثانية. وهو واحد من اقدم مساجد روسيا ■

حديث.. استجابة الدعاء تحت قبة الحسين عليه السلام

قراءة في الأسانيد والدلالات

علي الفحام •

ينابيع

من الأحاديث المشهورة التي تتناقلها المجالس والكتب، وتلهج به ألسنة الخطباء حديث استجابة الدعاء تحت قبة سيد الشهداء، وقد أثيرت حول دلالات هذا الحديث ومتنه بعض سحابات التشكيك مما دعاني للبحث عنه بين طيات الكتب والمسانيد، والتنقيب عن شواهده ومؤيداته، فوجدته قد جاءنا بالأسانيد العالية، والمصادر الوثيقة، قد رواه القدماء من المحدثين، وتسالم عليه الأولون قبل الآخرين، فشمرت للكتابة عن إثبات صحته وفقاً لما جاءنا من قواعد مأثورة عن أهل بيت العصمة حول نقد الحديث وتمحيصه، ومعرفة سقيمه من صحيحه.

مصادر الحديث الشريف وأسانيده:

روي هذا الحديث الشريف في كفاية الأثر لشيخنا أبي القاسم علي بن محمد بن علي الخزاز القمي الرازي المتوفى بحدود ٤٠٠هـ بإسناده عن عبد الله بن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وآله، وقد رواه الفضل بن شاذان(ت٢٦٠) ـ على ما نقل المحدث النوري في مستدركه – بسند آخر عن الصحابي عبد الله بن عباس، ورويت له شواهد ومؤيدات في غير واحد من كتب الحديث المعتمدة.

أولاً: نص الحديث في كتاب (كفاية الأثر في النص على الأئمة الأثني عشر) للخزار القمي :

كفاية الأثر ص١٦: حدثني أبو الحسن علي بن الحسين، قال حدثني أبو محمد هارون بن موسى التلعكبري رضي الله عنه، قال حدثنا الحسن بن علي بن زكريا العدوي النصري، عن محمد بن إبراهيم بن المنذر المكي، عن الحسين بن سعيد الهيثم، قال حدثني الأجلح الكندي، قال حدثني أفلح بن سعيد، عن محمد بن كعب، عن طاوس اليماني، عن عبد الله بن العباس قال : دخلت على النبي صلى الله عليه وآله وسلم والحسن على عاتقه والحسين على فخذه يلثمهما ويقبلهما ويقول (اللهم وآل من والاهما وعاد من عادهما)، ثم قال : يا ابن عباس كأني به وقد خضبت شيبته من دمه، يدعو فلا يجاب ويستنصر فلا ينصر.

قلت: من يفعل ذلك يا رسول الله؟ قال: (شرار أمتي، ما لهم لا أنالهم الله شفاعتي). ثم قال: (يا ابن عباس من زاره عارفاً بحقه كتب له ثواب ألف حجة وألف عمرة، ألا ومن زاره فكأنما زارني، ومن زارني فكأنما زار الله، وحق الزائر على الله أن لا يعذبه بالنار. ألا وإن الإجابة تحت قبته، والشفاء في تربته، والأئمة من ولده). قلت: يا رسول الله فكم الأئمة بعدك؟ قال: (بعدد

حواري عيسى، وأسباط موسى ونقباء بني إسرائيل). قلت: يا رسول الله فكم كانوا؟

قال: (كانوا اثني عشر، والأئمة بعدي اثنا عشر، أولهم علي بن أبي طالب، وبعده سبطاي الحسن والحسين، فإذا انقضى الحسين فابنه علي، فإذا انقضى علي فابنه محمد، فإذا انقضى محمد فابنه جعفر، فإذا انقضى جعفر فابنه موسى، فإذا انقضى موسى فابنه علي، فإذا انقضى علي فابنه محمد، فإذا انقضى محمد فابنه علي، فإذا انقضى علي فابنه الحسن، فإذا انقضى الحسن فابنه الحجة).

قال ابن عباس: قلت: يا رسول الله أسامي لم أسمع بهن قط. قال لي: (يا ابن عباس هم الأئمة بعدي، وإن قهروا أمناء معصومون نجباء أخيار، يا ابن عباس من أتى يوم القيامة عارفاً بحقهم أخذت بيده فأدخلته الجنة. يا ابن عباس من أنكرهم أو ردّ واحدا منهم فكأنما قد أنكرني وردني، ومن أنكرني وردني فكأنما أنكر الله ورده. يا ابن عباس سوف يأخذ الناس يميناً وشمالاً، فإذا كان كذلك فاتبع علياً وحزبه، فإنه مع الحق والحق معه، ولا يفترقان حتى يردا عليَّ الحوض. يا ابن عباس ولايتهم ولايتي، وولايتي ولاية الله، وحربهم حربي وحربي حرب الله، وسلمهم سلمي وسلمي سلم الله.

ثم قال عليه السلام: (يريدون ليطفؤا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون)).

وقد روي هذا الحديث بمتنه بسند آخر عن عبد الله بن عباس، كما في مستدرك الوسائل ١٠/٣٣٥: [روى] أبو محمد الفضل بن شاذان في كتاب الغيبة: عن عبد الله بن جبلة، عن عبد الله بن المستنير، عن المفضل بن عمر، عن جابر بن يزيد الجعفي، عن عبد الله بن العباس، عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) ـ في حديث فيه فضل زيارة الحسين (عليه السلام)، إلى أن قال ـ: ألا وإن الإجابة تحت قبته، والشفاء في تربته، والأئمة (عليهم السلام)

من ولده. الخبر.

السند في كفاية الأثر:

١. أبو الحسن علي بن الحسين: هو (علي بن الحسين بن محمد بن مندة، أبو الحسن، أكثر الرواية عنه الثقة الجليل علي بن محمد بن علي الخزاز، مترحما عليه، والظاهر أنه من مشايخه، وهو في طبقة الصدوق، وكثيراً ما يروي عن الثقة الجليل هارون بن موسى التُلعكبري) – تعليقة على منهج المقال ٢٥١.

٢. أبو محمد هارون بن موسى التلعكبري: هو (هارون بن موسى بن أحمد بن سعيد بن سعيد، أبو محمد، التلعُكبري، كان وجهاً في أصحابنا، ثقة، معتمداً لا يطعن عليه) – ت٣٨٥، رجال النجاشي ص٤٣٩.

٣. الحسن بن علي بن زكريا العدوي النصري: هو الحسن (أو الحسين) بن علي بن زكريا بن صالح العدوي البصري: من شيوخ أبي المفضل الشيباني (تلميذ الكليني) وهو ثقة، وثقه غير واحد من أئمة الحديث.

٤. محمد بن إبراهيم بن المنذر، أبو بكر النيسابوري (حدود ٢٤١ - ٣١٨هـ)، نزيل مكّة. وهو من مفسري العامة ومجتهديهم المحسوب في فقهاء الشافعية، ومن مشايخ (ابن حبان) العالم الرجالي السني المعروف.

٥. الحسين بن سعيد [بن] الهيثم: مهمل.

٦. الأجلح الكندي: وهو أبو حجية أجلح بن عبد الله بن حجية، ويقال: أجلح بن عبد الله بن معاوية الكندي. عن الشعبي، وعكرمة، وعنه القطان، وابن نمير، وخلق، وثقه ابن معين، وغيره، وضعفه النسائي، وهو شيعي، مع أنه روى عنه شريك، أنه قال: سمعنا: أنه ما سب أبا بكر وعمر أحد إلا افتقر، أو قتل! مات ١٤٥، (الكاشف للذهبي ٢٢٩/١)، وهو ممن نقل عنه صاحب كفاية الأثر في النص على الأئمة الاثني عشر، وقد اتهمه ابن الجوزي بوضع حديث

في فضائل أمير المؤمنين عليه السلام.

٧. أفلح بن سعيد: أفلح بن سعيد القبائي، عن محمد بن كعب، وجماعة، وعنه زيد بن الحباب، والعقدي، صدوق، توفي ١٥٦. (الكاشف ٢٥٥/١)

٨. محمد بن كعب: محمد بن كعب القرظي، أرسل، عن أبي ذر، وغيره، وعن عائشة، وأبي هريرة، وزيد بن أرقم، وعنه يزيد بن الهاد، وأبو معشر نجيح، وعبد الرحمن بن أبي الموالي، ثقة حجة، قال أبو داود: سمع من علي، وابن مسعود، توفي ١٠٨، وقيل ١١٦. (الكاشف ٢١٣/٢).

٩. طاوس اليماني: هو طاووس بن كيسان، نص على تشيعه ابن قتيبة في معارفه والشهرستاني في الملل والنحل، وثقه بعض العامة، توفي سنة ١٠٦هـ، روى عن عبد الله بن عباس في الكتب الستة عند السنة. (رجال الشيعة في أسانيد السنة ص١٩٨).

١٠. عبد الله بن عباس، صحابي معروف.

السند في مستدرك الوسائل:

نقلاً عن الفضل بن شاذان (ت ٢٦٠هـ) في كتاب الغيبة :

١. عبد الله بن جبلة: عبد الله بن جبلة بن حيان بن أبجر الكناني، أبو محمد، عربي صليب، ثقة روى عن أبيه عن جده حيان بن أبجر، وبيت جبلة بيت مشهور بالكوفة. و كان عبد الله واقفاً، وكان فقيهاً ثقة مشهوراً، مات سنة ٢١٩. (رجال النجاشي ٢١٦).

٢. عبد الله بن المستنير: ورد في أسانيد مماثلة بعنوان (إبراهيم بن المستنير)، وثقه السيد الخوئي (رحمه الله) لوروده في أسانيد الثقة الجليل علي بن إبراهيم القمي في تفسيره.

٣. المفضل بن عمر: المفضل بن عمر الجعفي، أبو عبد الله: من أصحاب الصادق والكاظم صلوات الله عليهما. عده المفيد في الإرشاد من شيوخ أصحاب أبي عبد الله عليه السلام وخاصة بطانته وثقاته الفقهاء الصالحين رحمهم الله. وعده الشيخ الطوسي في غيبته من قوام الأئمة عليهم السلام من المحمودين الذين مضوا على منهاجهم. وذكر روايات في مدحه وجلالته.. (مستدركات علم رجال الحديث ٤٧٧/٧).

٤. جابر بن يزيد الجعفي: كوفي ثقة من أجلاء أصحاب الصادق و الباقر عليهما السلام روى عنهما و عن الصحابي جابر الأنصاري، توفي ١٢٨ هجرية، وهو يروي عن ابن عباس بواسطة واحدة.

٥. عبد الله بن عباس: ابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله، توفي ٦٨هـ، ورواية جابر الجعفي عنه بدون واسطة بعيدة، فالرواية مرسلة.

وإنما فصلنا القول في الإسناد ليُعلم أن هذا الحديث قد تناقلته ألسنة الثقات الأجلاء من أصحاب الأئمة وفي مختلف الطبقات، فيرتفع الشك بإمكانية وضع هذا الحديث أو اختلاقه كذباً عن لسان رسول الله صلى الله عليه وآله، ولا يضر جهالة بعض الرواة أو إرسال بعض الأسانيد فقد ثبت في محله أن ضعف الإسناد لا يلازم ضعف المتن، كما أن تعدد أسانيد الحديث وكثرة شواهده وموافقته للكتاب والسنة القطعية وروده في الكتب المعتبرة هي من أدلة الصحة وإمارات الاعتبار فلا مجال بعد ذلك للتذرع بضعف الإسناد.

وربما يعترض الشك في إسناد (كفاية الأثر) لاشتماله على بعض رواة العامة كأبي بكر محمد بن إبراهيم النيسابوري، وأفلح

بـن سـعيد، ومحمد بن كعـب، فكيف يستقيم أن هؤلاء العامة قد نقلوا النص عن أئمة أهـل البيت بأسـمائهم، وهل يعقـل أن يرد مثـل هـذا الحديث على لسان رجلين من رواة العامة؟

نقول في جـواب هذه الشـبهة بعد الاتكال على اللّه تعالى:

أولاً: نعم، لا مانع أن يرد في السند رجال من العامة، فإن المحدث النوري (رحمـه اللّه) روى فـي الجزء الأول من كتابـه (النجـم الثاقب) أكثر من عشـر روايات فـي النص على الأئمـة الاثني عشـر عليهم السـلام وفي أسـانيدها رجال من العامة، إن لم يكن كل إسنادها مـن العامـة، وليـس شـرطاً أن يعتقد هؤلاء الرواة بإمامة وعصمة أهل البيت عليهم السلام لينقلوا النص عليهم، فإن بعضهم تأول معنى هـذه الإمامة بأمور غير المعنـى الذي تفهمـه الإمامية من الحجية ووجوب الطاعة، فذهب البعض أنهـا تعني (القطبية النَسَـبية) أو الإمامة الروحية أو شـيئاً من هذا التأويل، ولا نسـتبعد أن يكون جزء من هؤلاء الرواة هم من الشيعة المسـتخفين بثوب أهل السنة، للاتقاء من المحيط السني الذي يعيشون فيه.

ثانيـاً: إن سـند هـذا الحديـث لم يقتصـر علـى ذلك المروي فـي (كفاية الأثـر) والمشـتمل علـى رواة مـن المخالفين، بل ـ كما رأينا ـ ورد بسـند قوي في كتاب الغيبة للفضل بن شـاذان وبرواة من أوثـق أصحاب الأئمة عليهم السلام.

إضافـة إلى ذلك كله ـ بل هو الأهم ـ أن روايـة الحديث بهذا النحو من العامة

يزيد في صحته لأنهم يروون فضائل من ينكرونهم، وهو دليل واضح على وضوح الحديث بنحو لا يمكن إنكاره.

شواهد الحديث من طرق أهل البيت عليهم السلام

ومن الشواهد ما رواه الشيخ محمد بن جعفر المشهدي (ت٦١٠) المزار ص٤٦٥ قال: (ومما خرج من الناحية عليه السلام إلى أحد الأبواب، قال: تقف عليه صلى الله عليه وتقول...: السلام على من أطاع الله في سره وعلانيته، السلام على من جعل الشفاء في تربته، السلام على من الإجابة تحت قبته، السلام على من الأئمة من ذريته...).

ومنها ما رواه الطوسي في أماليه ٣١٧: أخبرنا ابن خشيش، عن محمد بن عبد الله، قال: محمد بن محمد بن معقل العجلي القرميسيني بسهرورد، قال: حدثنا محمد بن أبي الصهبان الذهلي، قال: حدثنا أحمد بن محمد بن أبي نصر البزنطي، عن كرام بن عمرو الخثعمي، عن محمد بن مسلم، قال: سمعت أبا جعفر وجعفر بن محمد (عليهما السلام) يقولان: إن الله (تعالى) عوض الحسين (عليه السلام) من قتله أن جعل الإمامة في ذريته، والشفاء في تربته، وإجابة الدعاء عند قبره، ولا تعد أيام زائريه جائياً وراجعاً من عمره. قال محمد بن مسلم: فقلت لأبي عبد الله (عليه السلام): هذا الجلال ينال بالحسين (عليه السلام) فماله في نفسه؟ قال: إن الله (تعالى) ألحقه بالنبي (صلى الله عليه وآله سلم) فكان معه في درجته ومنزلته، ثم تلا أبو عبد الله (والذين امنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم) الآية.

(رواه محمد بن علي الطبري (ت٥٢٥) في (بشارة المصطفى) ص٣٢٧، ورواه مختصراً الطبرسي (ت٥٤٨) في (إعلام الورى بأعلام الهدى) ١/٤٣١،).

وفي أدناه تفصيل رجال السند في حديث الطوسي:

١. بن خشيش: محمد بن علي بن خشيش بن نضر بن جعفر بن إبراهيم التميمي، المتوفى بعد سنة ٤٠٨ هجرية، من مشايخ الطوسي أكثر عنه الرواية في أماليه. (مستدركات علم رجال الحديث ٧/٢٢٤).

٢. محمد بن عبد الله: هو أبو الفضل محمد بن عبد الله الشيباني المتوفى سنة ٣٨٧، عده المامقاني حسن الحديث، و قيل هو من تلامذة الكليني، و هو من مشايخ علي بن محمد الخزار القمي صاحب كفاية الأثر.

٣. محمد بن محمد بن معقل العجلي القرميسيني بسهرورد: وقد يقال (محمد بن معقل)، من مشايخ ابن بابويه القمي والد الشيخ الصدوق، روى عنه الرجال الثقات.

٤. محمد بن أبي الصهبان الذهلي: هو محمد بن عبد الجبار القمي من أصحاب الجواد والهادي والعسكري صلوات الله عليهم. ثقة بالاتفاق، كان حياً قبل ٢٦٠. (مستدركات علم رجال الحديث ٧/١٥٢).

٥. أحمد بن محمد بن أبي نصر البزنطي: أحمد بن محمد بن عمرو بن أبي نصر زيد السكوني بالولاء، أبو جعفر الكوفي، المعروف بـ(البزنطي)، لقي الإمامين أبا الحسن الكاظم وأبا الحسن الرضا عليهما السّلام، وكان عظيم المنزلة عندهما مختصّاً بهما، سمع منهما الفقه والحديث، وروى عنهما، وكان من فقهاء الشيعة الأجلاء، ومحدّثيهم الثقات، وأحدُ

أصحاب الإجماع الذين أجمعت الطائفة على تصحيح ما يصحّ عنهم والإقرار لهم بالفقه والعلم، بل أحدُ المشايخ الثلاثة الذين قيل في حقّهم أنّهم لا يروون ولا يرسلون إلاّ عن ثقة. (موسوعة أصحاب الفقهاء ٩٥/٣).

٦. محمد بن مسلم: هو الطحان الكوفي، الثقفي، الطائفي، الثقة باتفاق العصابة الناجية، حفظ من الإمامين الباقرين نحواً من خمسة وأربعين ألف حديث، توفي سنة ١٥٠.

وإنما أخرجناه شاهداً لأنه ورد بصيغة (وإجابة الدعاء عند قبره) بدلاً من (تحت قبته) وسنأتي عليه أكثر عند الحديث عن البحث دلالات الحديث الشريف، وقد استفاضت الأخبار عن الذين فرض الله طاعتهم في استجابة الدعاء عند قبر أبي عبد الله الحسين عليه السلام، فعن شعيب العقرقوفي، قال: قلت لأبي عبد الله (عليه السلام): من أتى قبر الحسين (عليه السلام)، ما له من الثواب والأجر؟ قال (عليه السلام): (يا شعيب، ما صلى عنده أحد الصلاة إلا قبلها الله منه، ولا دعا عنده أحد دعوة إلا استجيب له عاجله وآجله) (وسائل الشيعة ٥٣٨/١٤).

إشكالات حول متن الحديث:

ربما ينطلق الإشكال أو التشكيك في الحديث الشريف من جانبين رئيسين:

الأول: التصريح بأسماء الأئمة في متن الحديث.

الثاني: مفهوم القبة في الحديث.

أولاً: التصريح بأسماء الأئمة:

باعتبار أن النص على الأئمة بأسمائهم لم يكن مشهوراً في الحالة الشيعية – فضلاً عن الإسلامية – في زمن الأئمة عليهم السلام، لذلك كانت الوفود الشيعية التي ترد المدينة المنورة بعد وفاة أحد الأئمة تسأل عن اسم الإمام الذي بعده، وربما لا تؤمن له إلا بعد اختباره سواء بالأسئلة ورؤية الكرامات أو بالإخبار عن المغيبات، فكيف يستقيم هذا المشهد مع تلكم الروايات التي تصرح بأسماء الأئمة؟

الجواب:

١. إن النصوص على أئمة أهل البيت عليهم السلام بأسمائهم وإن كانت اليوم تصل حد التواتر بجمع متفرقات النصوص إلى بعضها، إلا أنها – كما أسلفنا – لم تكن متواترة في الحالة الشيعية فضلاً عن الوضع الإسلامي العام، وبالتالي فليس من العجب أن الوفود البعيدة جغرافياً عن حاضرة الرسول وأهل البيت تأتي لتسأل عن الإمام التالي وتبحث عن دلالات إمامته والنص عليه من أبيه.

٢. إن تلكم الأحاديث لم تكن لتُتناقل في الأوساط العلمية، وحلقات الدرس، بشكل علني في ظل التشدد السياسي الذي كان قائماً منذ أن منع الخليفة الثاني عمر تدوين الحديث وحتى غيبة إمامنا الثاني عشر سلام الله عليه، حيث فُرض طوق محكم حول الحديث وروايته، وفي مقدمته الحديث الشيعي وأحاديث الإمامة بالخصوص، فليس معقولاً أن تنتشر تلك الأحاديث بين الأوساط الشعبية، وتصبح ثقافة عامة ومعلومة بديهية لا تحتاج للسؤال والتمحيص.

٣. إن تلك الوفود وإن كانت النصوص على الأئمة قد وصلتها بطريق أو بآخر، إلا أن النفوس قد لا تطمئن بنص واحد وتسعى للتأكد من إمامة الإمام بالأدلة القاطعة التي

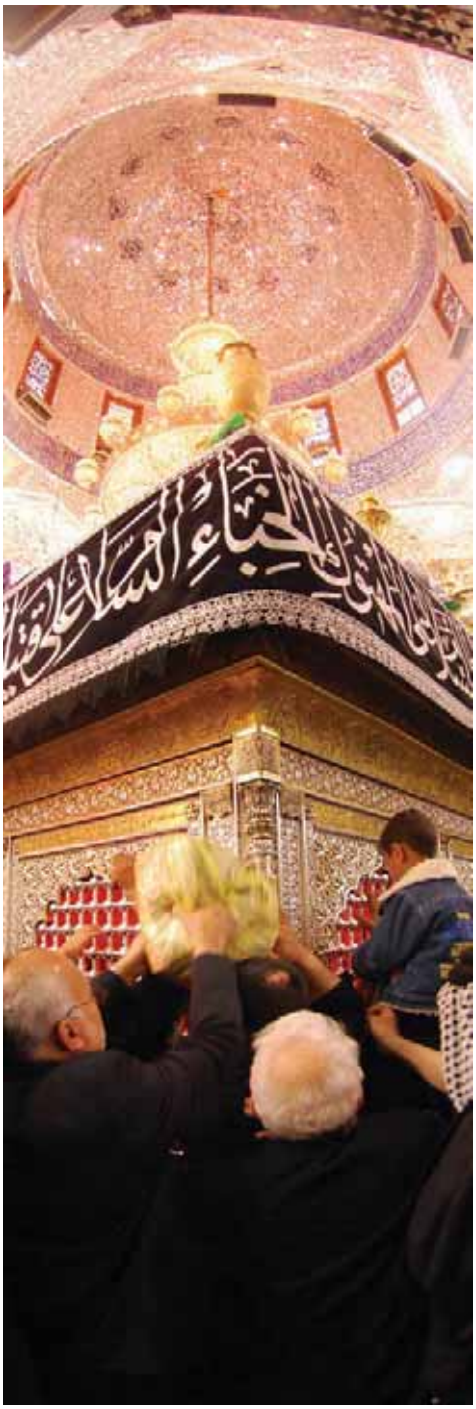

لا يبقى معها مجال للريبة والشك، وقضية الإمامة هي قطب الرحى في العقيدة الشيعية، بها يرتفع العمل، وتقبل الطاعة، وبمعرفتها تكون الحظوة في الآخرة، والنجاة من عذاب الجحيم، فلا عجب أن قلوب الشيعة تطلب زيادة الاطمئنان من خلال النص المباشر من الإمام السابق، أو من خلال الدلائل التي سنها أهل البيت عليهم السلام كإنبائهم بالمغيبات وإجابة الأسئلة، وما على شاكلتها.

ثانياً: مفهوم القبة

الإشكال الآخر يتعلق بمفهوم القبة في الحديث، هل هي القبة المعروفة؟ ومتى بنيت القبة على قبر الحسين عليه السلام حتى يذكر الرسول صلى الله عليه وآله أن الدعاء يجاب تحتها؟؟

وثالثاً: ورد في الأحاديث كراهة البناء على القبور فكيف لا يسري ذلك الحكم على قبور المعصومين عليهم السلام؟

وفي الحقيقة لا أجد معنى للشق الثاني من السؤال لأن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله في حديثه الشريف قد أخبر بجملة من المغيبات، من النص على الأئمة، إلى قتل الحسين عليه السلام، فما المانع أن تكون القبة من هذا القبيل؟! وهي إخبار بأمر لم يحصل بعد.

أما كراهة البناء على القبور، فإن المفهوم من أحاديث الأئمة وسيرتهم أن قبور المعصومين عليهم السلام مستثناة من هذه القاعدة، وسيتضح في طيات الحديث الدليل على هذا الاستثناء.

بقي أن نوضح الأمر الذي أدى لهذا اللبس في الموضوع، وهو مفهوم القبة، واستخداماتها في لغة العرب، ومطابقة الحديث الشريف مع الواقع التاريخي للمرقد المبارك.

تطلق القبة عند العرب على معان عدة، متقاربة في مصاديقها، ومتشابهة في وظائفها، وهي كما يأتي:

الأول: القبة المعروفة باصطلاحنا المعاصر، وهي البناء نصف الكروي الذي يعلو أسطح المساجد والجوامع، والذي يعد واحداً من مميزات العمارة الإسلامية، وهذا واضح.

الثاني: البناء، أعم من كونه من الشعر أو اللبن والآجر، ويدل عليه ما ورد في مجمع البحرين ٤٤٥/٣: (القُبّة بالضم والتشديد : البناء من شعر ونحوه، والجمع قُبَب وقِباب).

الثالث: البناء المشتمل على القبة المعروفة، ويدل عليه ما ورد في الأمالي للصدوق ص٧٥٩: عن أبي الصلت الهروي، قال: (بينا أنا واقف بين يدي أبي الحسن علي بن موسى الرضا (عليه السلام) إذ قال لي: يا أبا الصلت، ادخل هذه القبة التي فيها قبر هارون فأتني بتراب من أربع جوانبها) وكذلك قول الصدوق في الفقيه زيارة الإمامين الكاظمين (عليهما السلام): (ثم صل في القبة التي فيها محمد بن علي (عليهما السلام) أربع ركعات بتسليمتين).

الرابع: الخيمة والخباء، ويدل عليه ما أورده الزبيدي في تاج العروس ٣٠١/٢: (والقبة من البناء معروفة. وقيل: هي البناء من الأدم خاصة مشتق من ذلك. وقال ابن الأثير: القبة من الخباء: بيت صغير مستدير، وهو من بيوت العرب. وفي العناية: القبة: ما يرفع للدخول فيه ولا يختص بالبناء)، ويدل عليه أيضا ما أورده الذهبي في تاريخ الإسلام ٢٥/٢٧: (حوادث سنة ٣٨٩) قال: (كانت قد جرت عادة الشيعة في الكرخ وباب الطاق، بنصب القباب، وإظهار الزينة يوم الغدير..) أي نصب الخيام، وهو واضح أيضاً، ويؤيده ما نقله ابن شهر آشوب في مناقبه ١٩٣/٣ قال: (لما مات الحسن بن الحسن بن علي (عليهما السلام) ضربت امرأته القبة على قبره سنة ثم رفعت..)، فإن النصب والضرب مصطلحان يستخدمان غالباً مع الأخبية والخيام.

والملاحظ أن جميع هذه المعاني تقترب مع بعضها بصفة مشتركة أشار لها الزبيدي في تاج العروس حين قال : (القبة : ما يرفع للدخول فيه ولا يختص بالبناء)، فهو يشمل الخيمة والخباء والبناء المرفوع (المبني من الشعر وغيره) والقبة المعروفة باصطلاحنا اليوم، وعليه فقبة الحسين عليه السلام هي رمز لما يرفع من بناء حول قبره الشريف ليدخل الزائرون تحته، سواء أكان سقيفة أم بناءً أم قبة نصف كروية، وهو ما أشار إليه حديث محمد بن مسلم عن الإمام الصادق عليه السلام (وإجابة الدعاء عند قبره).

وربما يرجح المعنى الأول للقبة بدلالة قوله صلى الله عليه وآله (تحت قبته)، فظرف المكان (تحت) يناسب معنى القبة المعروفة دون غيرها، وهذا وإن كان صحيحاً إلا أنه لا يلغي بقية الاحتمالات، فالعرب قد تقول: جلست تحت البناء، أو تحت الخيمة، أو تحت الخباء كما لا يخفى على المتتبع لكلامهم، والمستقصي لأقوالهم وأشعارهم.

أما تاريخ البناء على القبر الشريف فيسلط الضوءَ عليه كلامُ السيد محسن

الأمين في (أعيان الشيعة) ٦٢٧/١ حيث قال: (أول من بنى القبر الشريف بنو أسد الذين دفنوا الحسين عليه السلام وأصحابه، يظهر ذلك من الخبر المروي في كامل الزيارة عن زائدة عن زين العابدين عليه السلام حيث قال فيه: (قد أخذ الله ميثاق أناس من هذه الأمة لا تعرفهم فراعنة هذه الأرض هم معروفون في أهل السماوات أنهم يجمعون هذه الأعضاء المتفرقة وهذه الجسوم المضرجة فيوارونها وينصبون بهذا الطف علما لقبر سيد الشهداء لا يدرس أثره، ولا يعفو رسمه على كرور الليالي والأيام)، ومن قول ابن طاوس في الإقبال إنهم أقاموا رسماً لقبر سيد الشهداء بتلك البطحاء يكون علماً لأهل الحق) ويضيف السيد الأمين أن (العمارة الأولى للقبة الشريفة التي كانت في زمن بني أمية، إذ تدل جملة من الآثار والأخبار أنه كان عليه (سقيفة) و(مسجد) في زمن بني أمية، واستمر ذلك إلى زمن الرشيد من بني العباس، لكن لا يعلم أول من بنى ذلك... ويدل الخبر الذي رواه السيد علي بن طاوس في الإقبال عن الحسين بن أبي حمزة أنه كان عليه سقيفة لها باب، في آخر زمن بني أمية، حيث قال فيه: (خرجت في آخر زمن بني أمية وأنا أريد قبر الحسين عليه السلام إلى أن قال: حتى إذا كنت على باب الحائر خرج إلي رجل ثم قال : فلما انتهيت إلى باب الحائر : فجئت فدخلت).

وقال الصادق (عليه السلام) لجابر الجعفي في حديث رواه ابن قولويه في كامل الزيارة: (إذا أتيت قبر الحسين عليه السلام فقل...) وجابر توفي على ما ذكره النجاشي سنة ١٢٨ ومات مروان بن محمد آخر ملوك بني أمية سنة ١٣٢ فتكون وفاته قبل انقضاء دولتهم بأربع سنين، وروى ابن قولويه في كامل الزيارة عن أبي حمزة الثمالي عن الصادق عليه السلام في كيفية زيارة الحسين عليه السلام أنه قال: (فإذا أتيت الباب الذي يلي الشرق فقف على الباب وقل)... ثم قال: (ثم تخرج من السقيفة وتقف بحذاء قبور الشهداء)، وهو صريح في أن البناء كان سقيفة له باب من الشرق، وقوله الباب الذي يلي الشرق، يدل على وجود باب غيره، وفي حديث صفوان الجمال عن الصادق عليه السلام: (إذ أردت زيارة الحسين بن علي فإذا أتيت الباب فقف خارج القبة وارم بطرفك نحو القبر، وقل ثم ادخل رجلك اليمنى القبة وأخر اليسرى، وقل ثم ادخل الحائر وقم بحذائه). وقال المفيد في مزاره عند ذكره لرواية صفوان بن مهران: (فإذا أتيت باب الحائر فقف ثم تأتي باب القبة فقف من حيث يلي الرأس ثم أخرج من الباب الذي عند رجلي علي بن الحسين ثم توجه إلى الشهداء ثم امش حتى تأتي مشهد العباس بن علي فقف على باب السقيفة وقل..) وروى ابن قولويه بسنده عن أبي حمزة الثمالي عن الصادق عليه السلام: (فإذا أردت زيارة العباس فقف على باب السقيفة وقل ثم ادخل)...).

أقول: ويؤيد ما ذكره (رحمه الله) نصوص مستفيضة نذكر منها:

كامل الزيارات ٣٦٧: عن يوسف الكناسي، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: إذا أتيت قبر الحسين (عليه السلام) فائت الفرات واغتسل بحيال قبره، وتوجه إليه وعليك السكينة والوقار، حتى تدخل الحائر من جانبه الشرقي، وقل حين

تدخله..).

كامل الزيارات ٤٨٣: حدثني محمد بن عبد الله بن جعفر الحميري، عن أبيه، عن أحمد بن أبي عبد الله البرقي، عن أبيه، رفع الحديث إلى أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: دخل حنان بن سدير الصيرفي على أبي عبد الله (عليه السلام)... في زيارة الحسين عليه السلام من بعد... قال: (السلام عليك ورحمة الله وبركاته، أنا زائرك يا بن رسول الله بقلبي ولساني وجوارحي، وان لم أزرك بنفسي والمشاهدة لقبتك..).

الكافي ٥٧٥/٤: عن الحسين بن ثوير قال: كنت أنا ويونس بن ظبيان والمفضل بن عمرو أبو سلمة السراج جلوسا عند أبي عبد الله (عليه السلام).... إلى أن قال عليه السلام: إذا أتيت أبا عبد الله (عليه السلام) فاغتسل على شاطئ الفرات، ثم ألبس ثيابك الطاهرة، ثم امش حافياً؛ فإنك في حرم من حرم الله وحرم رسوله، وعليك بالتكبير والتهليل والتسبيح والتحميد والتعظيم لله عز وجل كثيراً، والصلاة على محمد وأهل بيته، حتى تصير إلى باب الحير، ثم تقول...).

كامل الزيارات ١٧٩: عن عبد الله بن عبد الرحمان الأصم، قال: حدثنا أبو عبيدة البزاز، عن حريز، عن أبي عبد الله (عليه السلام) في حديث الملائكة حول قبر الحسين عليه السلام: فأوحى الله تبارك وتعالى إليهم أن الزموا قبته حتى ترونه وقد خرج فانصروه.

خلاصة البحث:

١. إن هذا الحديث الشريف صحيح بما ثبت من مجموع أسانيده ومصادره، و بمجمل شواهده الواردة من طرق أهل البيت عليهم السلام.

٢. تسالم على نقل هذا الحديث رواة الشيعة وكبار المحدثين في مختلف الأزمنة والأعصار، نذكر منهم : ابن شهر آشوب (ت٥٨٨) في مناقبه ٢٣٥/٣، ابن فهد الحلي (ت٨٤١) في عدة الداعي ص٤٣، علي بن يونس العاملي (ت٨٧٧) في كتابه الصراط المستقيم ١٤٥/٢، الحر العاملي في الوسائل ٤٥٢/١٤، المجلسي (ت١١١١) في البحار، المحدث النوري في مستدرك الوسائل ٣٣٥/١٠، البروجردي (ت١٣٨٣) في (جامع أحاديث الشيعة) ٣٩٨/١٢، وآخرين.

هذا فضلاً عن مصدريه الأصليين وهما كفاية الأثر للخزاز القمي (ت٤٠٠)، والغيبة للفضل بن شاذان (ت٢٦٠).

٣. إن أحاديث النص على الأئمة المعصومين عليهم السلام كانت موجودة في زمن الأئمة عليهم السلام إلا أنها ضربت بطوق من التقية الشديدة فهي بذلك لا تتعارض مع ما جرت عليه عادة الشيعة من السؤال عن الإمام اللاحق والتثبت من إمامته.

٤. إن المقصود بالقبة، إما أن يكون القبة بمعناها المعاصر المعروف، أو كل ما يرفع للدخول فيه من البناء أو الخباء أو السقيفة أو نحو ذلك مما كان على القبر الشريف في غابر الأزمنة.

٥. إن البناء على قبر أبي عبد الله الحسين عليه السلام في كربلاء يعود تاريخه إلى زمن الدولة الأموية حيث بنيت عليه سقيفة، وكان لها أبواب عدة، وقد أمر الأئمة عليهم السلام شيعتهم بدخول المرقد الطاهر من الباب الشرقي كما جاء في المرويات الشريفة ■

دور الإمام الصادق عليه السلام في تهيئة قيادات متميزة لمواجهة الغلاة

د. محمد جواد فخر الدين ●
كلية التربية للبنات/ جامعة الكوفة

ينابيع

لاريب أن الإمام الصادق عليه السلام، كان يرى أن الأمة كانت بحاجة ملحة إلى استعادة شخصيتها الإسلامية، وانطوى ذلك من خلال توجيهاته المستمرة وعلى كافة الأصعدة سواء منها الاجتماعية أم الأخلاقية أم التربوية، من أجل الوقوف أمام التيارات العقيدية الملحدة الوافدة على العقيدة الإسلامية، كي لا يجد هؤلاء مجالا لزرع أفكارهم الإلحادية الهدامة.

لاحظ الإمام كذلك بأم عينيه كيف أخذ المسلمون يواجهون هذه الأفكار في عقر دارهم، وفي بلادهم، وكيف أخذت تسري في مجتمعاتهم. وكان أكثر ما يخشى الإمام على العامة من الناس ذوي الثقافات المحدودة خشية أن تستجيب وتمتزج عقيدتها مع هذه الأطروحات الغالية، والدعوات المتتالية، وهي لا تعلم خلفياتها وحقيقتها وما تنطوي عليه، معتقدة بكل ذلك بصدق وإخلاص وبراءة.

ولد هذا الأمر جهدا مضاعفا من قبل الإمام في سبيل إجهاض تلك الحملات الإلحادية الهدامة التي إن لم تهدد كيان الإسلام عقيدة ونظاما، فإنها تهدد كيان الفرد المسلم، فكان يتحتم على الإمام

أن يضطلع بهذه المسؤولية الكبرى الملقاة على عاتقه، فكان يرى أن حجر الأساس في تحقيق هذه الأهداف، هي محاربته للتحريف.

ومن هنا اهتم الإمام عليه السلام بإعداد كوادر فكرية قادرة على حمل راية العقيدة، من خلال العمل على تعليم أصحابهم وتلامذتهم وتوجيههم الوجهة الصحيحة لتجسيد العقيدة والأخلاق والأحكام والمفاهيم الإسلامية سلوكا في واقع الحياة، وكان الاهتمام من قبل الإمام الصادق عليه السلام نابعا من المسؤولية الملقاة على عاتقه في ظل الأجواء المشحونة من العقائد والأفكار التي كانت تعمل على ضرب العقيدة الإسلامية سواء كان ذلك من الغلاة أو الزنادقة أو التيارات الفكرية الأخرى، أو من خلال دخول الكثيرين من غير المسلمين في الإسلام مع احتفاظهم بترسباتهم الفكرية، والروحية، والفلسفة اليونانية والاتجاهات الغنوصية فيها. وقد خاضت كل هذه الاتجاهات في مجال العقيدة مما سببت تراكمات كبيرة أسهمت إلى حد بعيد في ظهور جملة من العقائد التي تبتعد أصلا ومضمونا عن روح الإسلام الصحيح.

لم تكن مهمة الإمام الصادق مواجهة

تلك التيارات العقيدية منفردا بتلك السهولة التي قد يتصورها البعض، عوضا عن الضغوطات السياسية من قبل السلطات الأموية والعباسية الذين لم يرق لهم الحال أن يأخذ الإمام على عاتقه قيادة الأمة الإسلامية فكريا، لذا كان من الضروري إيجاد شخصيات إسلامية يكون لها دور في الدعوة إلى الإسلام، بعد أن طرأت عليه عوامل التخريب والتحريف، والقيام بمهمة التغيير والإصلاح الاجتماعي، و تقف هذه في خندق واحد مع الإمام من أجل التصدي لهذه النشاطات.

كان الإمام الصادق عليه السلام ينظر إلى أصحابه على قدر كفايتهم الموهوبة فاختص بجماعة منهم فكانوا خير معين على حل المشاكل التي تحل بالمجتمع، فهم يقومون بتنفيذ الخطط التي يرسمها لهم وتحت إشرافه، فهو المصدر الأول والمنتهى الأخير لتلك التعاليم، فقد جعل لكل واحد من أصحابه وظيفة خاصة يقوم بها عندما يعول في الجواب عليه، إظهارا لفضله وعلو منزلته، فقد جعل أبان بن تغلب للفقه، ووكل لحمران بن أعين[1] الأجوبة عن مسائل علوم القرآن، وزرارة بن أعين للمناظرة في الفقه، ومحمد بن علي بن النعمان الملقب بـ مؤمن الطاق للمساجلة في الكلام، ومحمد الطيار[2] للمناظرة في الاستطاعة[3]، وهشام بن الحكم للمناظرة في الإمامة والعقائد[4]، وكان من أصحاب الإمام جماعة يتجولون في الأمصار وأمدهم بالأموال للتجارة

والقصد من ذلك أن يمتزجوا بالمجتمع لتوجيه الناس والدعوة إلى مذهب أهل البيت، وكان (الإمام) يوجه أصحابه ويجعل لكل واحد جهة وعلى كل واحد أداء رسالة خاصة مع خطورة الموقف وعظيم المراقبة من قبل السلطة[٥].

كان الإمام الصادق يدعو أصحابه إلى كتابة ما يسمعون منه ويوصيهم بحفظ كتبهم، إذ قال لأحد أصحابه مستشهدا بقول رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (اكتبوا فإنكم لا تحفظون حتى تكتبوا)[٦]، و: (احتفظوا بكتبكم فإنكم سوف تحتاجون إليها)[٧].

وكذلك يطلعهم على بعض الكتب التي توارثوها عن آبائهم فقد أمر الإمام الباقر ولده الصادق عليهما السلام أن يقرأ زرارة بن أعين صحيفة الفرائض[٨] أو صحيفة كتاب الفرائض أو فرائض علي كما وقع التعبير بذلك كله عنها في الأخبار، ويحتمل أن تكون هي المراد بكتاب علي الوارد في بعض الأخبار ويحتمل غيره وهذه أيضا كانت عند الأئمة عليهم السلام ورآها عندهم ثقات أصحابهم ونقل كثير من محتوياتها في كتب الشيعة[٩].

نقلت بعض المصادر الرجالية أن الإمام الصادق كان يطلع على مصنفات أصحابه، ويصححها، فقد وردت في ترجمة عبيد الله بن علي الحلبي[١٠] وكان له كتاب عرضه على الإمام وصححه، وقال عند قراءته: (أترى لهؤلاء مثل هذا؟)[١١].

هذا الاهتمام من لدن الإمام في هذه الطبقة من أصحابه كانت لها نتائج إيجابية على صعيد الجانب العلمي والفكري للشيعة، إذ نجد أن هؤلاء قد أصبح لهم الدور الكبير في ترسيخ فكر أئمة أهل البيت عليهم السلام، والمصادر حافلة بمحاورات هؤلاء الأصحاب ومناظراتهم، وقد أشارت كتب الفهارس إلى أسماء ما ألفوه في كل الميادين، حتى أحصي ما دونوه في عصره فكانت أربعمائة مؤلَف لأربعمائة مؤلِف في الحديث فقط، وهي التي عرفت بالأصول الأربعمائة.

لا شك في أن هذه الأصول من أقدم وأشهر وأهم المصادر الروائية للشيعة الاثني عشرية التي ألفت في أعصار الأئمة المعصومين عليهم السلام. ونعلم إجمالا بأن تاريخ تأليف جل هذه الأصول إلا قليل منها كان في عصر أصحاب الإمام الصادق عليه السلام، سواء كانوا مختصين به، أم كانوا مما أدركوا أباه الإمام الباقر عليه السلام قبله، أم أدركوا ولده الإمام الكاظم عليه السلام بعده. وصرح علماء الإمامية بأن هذه الأصول ألفت جلها في عصر الصادق عليه السلام. ومن المؤسف أن الكثير من هذه الأصول قد ضاعت واندرست بسبب عدم الاهتمام الكافي بها، أو فقدت في خضم الأحداث ولم تصل إلينا[١٢].

ومن خلال ما تقدم يمكن أن نلحظ بوضوح الدور الذي قام به الإمام الصادق في مواجهة الحركات الغالية وإسهاماته الفعلية في التصدي لهذه الأفكار المنحرفة التي أخذت تدخل في النسيج الإسلامي.

على الرغم من الظروف الصعبة التي كانت تحيط به والإرهاصات السياسية وطبيعة الظروف الفكرية والعقيدية التي أخذت مسارات جديدة تبتعد ابتعادا كاملا عن طبيعة التفكير خلال القرن الأول الهجري من ناحية الطرح والأفكار

الوافدة، فنلحظ أن الإمام لم يتصد فقط لهذه الظاهرة ـ الغلو ـ فحسب، وإنما قام الإمام برسالة تغييرية شاملة تحاول تغيير الواقع الفاسد من الجذور، و كان الغلاة جزءا من هذه المشاكل التي واجهها واتخذ علاجا وقائيا لها بمختلف الطرق والوسائل التي تعمل على تحجيمها وبيان واقعها الفاسد للمجتمع ■

---

(١) حمران بن أعين بن سنسن الكوفي، الشيباني بالولاء، أبو الحسن. من ثقات محدثي الإمامية، و من الممدوحين المعظمين المفضلين. كان من حواري الإمام الباقر والصادق (عليهما السلام) ومن الرواة عنهما. وقرأ وأتقن القرآن على الإمام الباقر، وصار من كبار قراء وقته مع تبحره في علوم النحو واللغة والأدب، وكان شاعرا بارعا.
الطوسي، الرجال، ص١٣٢، العلامة الحلي، خلاصة الأقوال، ص١٣٤-١٣٥، ابن داود، الرجال،ص٨٥، الشبستري، أصحاب الإمام الصادق،٤٧٥/١-٤٧٦.

(٢) محمد بن عبد الله الطيار الكوفي، الفزاري بالولاء، محدث إمامي حسن الحديث وممدوح، من أصحاب الإمامين الصادق والباقر (عليهم السلام).
الطوسي، م. ن، ص٢٨٧، معجم رجال الحديث،٢٧٣/١٧-٢٧٤، الشبستري، م.ن، ١٢٨/٣.

(٣) الاستطاعة: يقصد بها أفعال العباد، واختلف في الاستطاعة قبل الفعل هل العبد مستقل بها بحيث يتصرف في الأسباب وآلات الفعل من غير أن يرتبط شيء من تصرفه بالله، أم لله فيها صنع، بحيث إن القدرة لله مضافة إلى سائر الأسباب، وإنما يقدر العبد بتمليك الله إياه شيئا منها، المعتزلة على الأول والمتحصل من أخبار أهل البيت (عليهم السلام) هو الثاني. سبحاني، الإلهيات، ص٧٠٣.

(٤) ويمكن أن نلحظ الدور الكبير الذي قام به هشام بن الحكم من خلال مناظراته، وكذلك قائمة كتبه التي ذكرها النجاشي وهي: علل التحريم، الإمامة، الدلالة على حدوث الأجسام، الرد على الزنادقة، الرد على أصحاب الاثنين، الرد على هشام الجواليقي، الرد على أصحاب الطبائع، الشيخ والغلام في التوحيد، التدبير في الإمامة، الميزان، إمامة المفضول، الوصية والرد على منكريها، الميدان، اختلاف الناس في الإمامة، الجبر والقدر، الحكمين، الرد على المعتزلة وطلحة والزبير، القدر، الألفاظ، الاستطاعة، المعرفة، الثمانية أبواب، الأخبار، الرد على المعتزلة، الرد على أرسطا طاليس في التوحيد، المجالس في التوحيد، المجالس في الإمامة. الرجال، ص٤٣٣.

(٥) حيدر، الإمام الصادق والمذاهب الأربعة، ٥٠/٢.

(٦) الكافي، الكليني، ٥٢/١، الحر العاملي، وسائل الشيعة، ٨١/٢٧.

(٧) الكافي، م. ن، ٥٢/١، الحر العاملي، م. ن، ٨١/٢٧.

(٨) الكافي، م. ن،٨١/٧، الحر العاملي، م. ن، ٧٣/٢٦.

(٩) الأمين، أعيان الشيعة، ٩٧/١.

(١٠) عبيد الله بن علي بن أبي شعبة الحلبي الكوفي، أبو علي، وكان يتجر هو وأبوه وإخوته إلى حلب، فغلب عليهم النسبة إلى حلب. وال أبي شعبة بالكوفة بيت معروف، وروى جدهم أبو شعبة عن الحسن والحسين (عليهما السلام)، وكانوا جميعهم ثقات مرجوعا إلى ما يقولون. وكان عبيد الله كبيرهم ووجههم، ومن أصحاب الإمام الصادق (عليه السلام).
النجاشي، الرجال، ص٢٣٠، الطوسي، الفهرست، ص١٧٤، العلامة الحلي، خلاصة الأقوال،ص٢٠٣.

(١١) النجاشي، م. ن، ص٢٣٠.

(١٢) ينظر: الكلباسي، الرسائل الرجالية، ص١١٤-١٢٣، الأمين، أعيان الشيعة ١٤٠/١-١٤١، المحمودي، ضياء الدين، الأصول الستة عشر من الأصول الأولية، ط١، (قم: دار الحديث، ١٤٢٣هـ)، ص٥.

توبة بشر بن الحارث الحافي

حكي أن بشـراً كان في زمن لهوه في داره، وعنده رفقاؤه يشربون ويطربون. اجتاز على داره في بغداد، الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام)، فسمع الملاهي وأصـوات الغناء والقصب والرقص تخرج من تلك الدار، فخرجت جارية وبيدها قمامـة النفل. فرمت به في الدرب، فسـألها الإمام: يا جارية، صاحب هذه الدار حر أم عبد؟

فقالت: بل حر.

فقال (عليه السلام): صدقت، لو كان عبداً خاف من مولاه.

فلمـا رجعـت ودخلت عليه قال مولاها ـ وهو على مائدة السـكر ـ : ما أبطأك علينا؟

فقالت: حدثني رجل بكذا وكذا، ثم ذكرت له أوصاف ذلك الرجل.

فقال: ويحك إنه والله موسى بن جعفر الكاظم، أي ناحية أخذ؟

فقالت: كذا.

فتبعه بشـر حافياً مسـرعاً حتى لحقه، فقال له: يا سـيدي! أنت الذي وقفت بالبـاب وخاطبت الجارية؟... ثم اعتذر، وبكى، واسـتحيى مـن فعله وعمله منه، فتاب على يده ومرغ خديه على الأرض وقال: بل عبد! عبد!

ثم هام على وجهه حافياً حاسراً حتى عرف بالحافي. وأصبح من العباد الزهاد الذين يضرب المثل بزهدهم.

ومما نقل عن بشـر الحافي أنه وجد في الشـتاء يرعد وثوبه معلق فقيل له في مثل هذا الوقت تنزع الثوب.

فقال: الفقراء كثير ولا طاقة لي بمواسـاتهم بالثياب فأواسـيهم بتحمل البرد كما يتحملونه.

وقد نقل عنه شعر كثير في التقوى والزهد، ومما نقل عنه انه قال:

أقسـم بـالله لمـص النوى	وشـرب ماء القلـب المالحة
أعز للإنسـان مـن حـرصه	ومن سـؤال الأوجـه الكالحة
فاسـتغن بالله تكـن ذا الغنى	مغتبطـا بالصفقـة الرابحة
اليـأس عـز والتقى سـؤدد	ورغبـة النفس لهـا فاضحة
مـن كانـت الدنيـا له برة	فـإنهـا يومـا لـه ذابحة
كـم سـالم صيح بـه بغتة	وقـائـل عهدي بـه البارحة
أمسـى وأمسـت عنده قينة	وأصبحـت تندبـه نائحة
طـوبـى لمن كانـت موازينه	يـوم يلاقـي ربـه راجحة

منهاج الكرامة في معرفة الإمامة - السيد علي الميلاني، نهج السعادة - الشيخ المحمودي

استطلاع المجلة

مرقد السيد تاج الدين الآوي

شاهد ضحايا الإرهاب والتعصب

استطلاع: حيدر الجد •
تصوير: سرمد مرزة

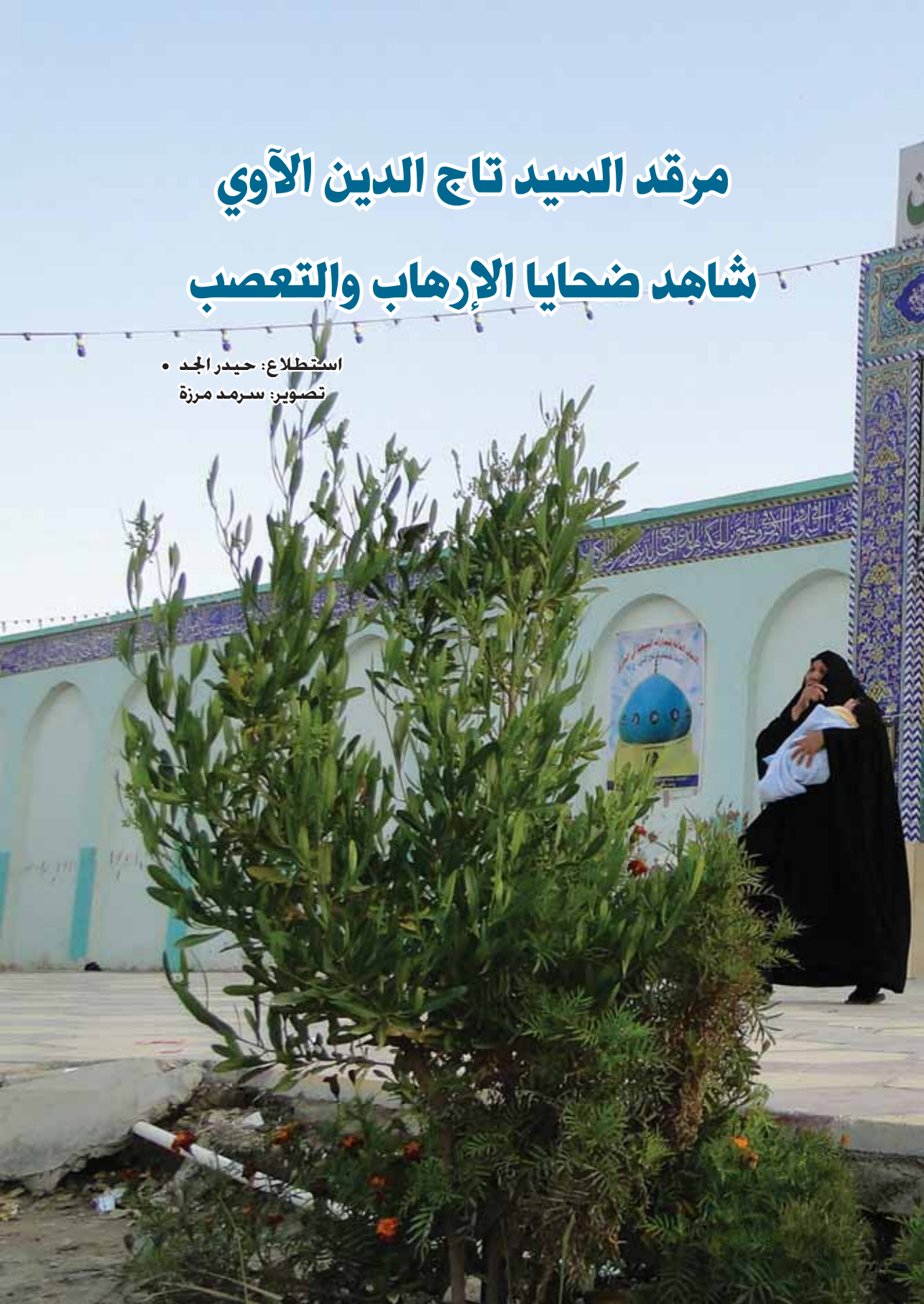

ينابيع

للتعصب الديني حكاية مؤلمة في تاريخ البشرية، حكاية لعب فيها العنف الدموي دوراً هاماً في حبكة فصولها ونسج روايتها معتمداً على ثنائية القتل ـ التشريد ينطلق منها في أفكاره وأيدلوجياته، متبنياً نزعة إلغاء الفكر الآخر ولو تطلب الأمر إراقة الدماء وانتهاك الحرمات والأعظم من ذلك أنه يحدث في المجتمعات الإسلامية التي كان المفروض عليها أن تتفاعل فيما بينها وتلتزم بمبادئ الشريعة السمحاء التي أكدت على أصرة تآخي المسلمين وإن اختلفت الآراء والمشارب.

من الطبيعي أن يخلف التعصب ضحايا يدفعون ضريبة لموقف خالد وقفوه أو كلمة حق نطقوا بها دفاعاً عن العقيدة والحقيقة، ومع تقادم الزمان أصبح هؤلاء يشكلون أرقاماً كبيرة لازالت تتزايد بصورة مضطردة، منهم السيد تاج الدين الآوي الذي سجل موقفاً مجده التاريخ وحجز له بين صفحاته مكانة متميزة لتنقل عنه صورة الصلابة في الدين والذب عنه حيث اشتدت النزاعات الدينية والطائفية فكان ضحية استهدفها اليهود في وضع خطة اغتياله وباشر بها النواصب للتخلص من حملة الفكر الإسلامي الأصيل.

اتجهنا نحو مرقده الذي يقع في محافظة واسط وأملنا الوصول إليه لنقف على معالم تلك المنطقة التي شهدت اغتياله ونضع أيدينا على حقائق لم تشر إليها المصادر فكانت حصيلة رحلتنا استطلاعاً لمجلة (ينابيع).

حياته العامة

هو السيد أبو الفضل تاج الدين محمد بن مجد الدين الحسين بن علي بن زيد

بن الداعي بن زيد بن علي بن الحسين بن الحسن التج بن أبي الحسن علي بن أبي محمد الحسن النقيب الرئيس بن علي بن محمد بن علي بن علي الحوري بن الحسن الأفطس بن علي الأصغر بن الإمام علي السجاد بن الإمام الحسين الشهيد بن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام[1].

أما لقبه الآوي فقد لحق به من جده الأكبر أبو محمد الحسن بن علي الذي كان نقيباً بـ(آبة)، قرية من قرى قم تقع بين قزوين وساوة ثم صحفت كلمة (آبة) لتصبح (آوة) وبهذا الاسم اشتهرت عند العامة، كان الحسن بن علي رئيساً متقدماً يقال له (الحسن الأوفى) وله أولاد أجلة حازوا كل فضيلة[2]، وقد توارثت ذريته النقابة العامة للأشراف في تلك المنطقة وقد أشار ابن طباطبا إلى أن علي بن محمد الحوري أول من ورد آبة وسكن بها والظاهر أنه قدم من الكوفة لأن جده علي بن علي الحوري كان بالكوفة[3].

لم يعرف أين ومتى ولد السيد تاج الدين؟ هل ولد في (آبة)، ثم هاجر الى منطقة الكفل أم أن أحد أجداده جاء إلى هذه المنطقة، فسكنها على أن الباحث عامر هادي الذرب ذكر: (ولد وترعرع في مدينة الكفل، وذلك في النصف الأول من القرن السابع الهجري، واستشهد في العام ٧١١ هجرية)[4]، ولم يسعفنا الباحث بالمصدر الذي بموجبه حدد مكان الولادة على أن حصر زمان الولادة ممكن أن يكون صحيحاً إذا اعتمدنا أن السيد تاج الدين عند استشهاده كان عمره سبعين سنة أو أكثر من ذلك بقليل، كذلك إذا اعتمدنا النظرية القائلة بأن في كل قرن يكون هناك ثلاثة من الأبناء (الجد الأب والابن) حيث يمثل عدد الآباء بين السيد تاج الدين

وجده الأعلى الإمام زين العابدين عليه السلام ستة عشر واسطة.

تنقلنا المصادر التي كتبت عن حياة السيد تاج الدين إلى منطقة الكفل (بئر ملاحة) مباشرة حيث لم تركز على مكانه على أن السيد عبد الرزاق كمونة جعله من نقباء بغداد والظاهر أنه سكن بغداد بعدما أصبح نقيب نقباء الممالك الإسلامية.

المتتبع لدراسة حياة السيد تاج الدين يجد أنه عاش بين الحلة والكفل وبغداد عاصر أواخر الدولة العباسية ثم سقوطها على يد هولاكو سنة (٦٥٦هـ)، وكانت عاصمته (مراغة)، وشهد السيد تتابع ثمانية ملوك من الأسرة الإيلخانية أولهم (هولاكو) ثم (آباقاخان) ثم (أحمد تكودار) ثم (آرغون خان) ثم (كيخا توخان) ثم (بايدو خان) ثم (غازان خان) وأخيراً (أولجايتو محمد خدابنده).

السلطان أولجايتو محمد

إن أول من أسلم من الإيلخانيين كان أحمد تكودار ابن هولاكو، ثم تتابع إسلام اخوانه وأبنائهم، منهم السلطان غازان الذي سمي بعد دخوله الإسلام بـ(محمود) حيث أسلم سنة ٦٩٤هـ، وتحول إلى مذهب أهل البيت عليهم السلام سنة ٧٠٢هـ إلا أنه بقي متخفياً لا يصرح بمذهبه[٥]، وبعد وفاته تقلد زمام الملك أخوه محمد أولجايتو، الذي ولد سنة ٦٧٨هـ، عمدته أمه لدى ولادته مسيحياً باسم (نيقولا) ثم تحول إلى الإسلام شأنه شأن أهله[٦]، ثم استبصر على يد العلامة الحلي على أثر قضية معروفة سنة ٧٠٨هـ، فأعلن التشيع الدين الرسمي للدولة، توفي في ٢٨ رمضان ٧١٦هـ وهو في السادسة والثلاثين من العمر ودفن في ضريح بناه

لنفسه أطلق عليه اسم (سلطانية) أما لقبه (أولجايتو) يعني السلطان المبارك أما (خدابنده) فيعني عبد الله[٧].

تاج الدين الآوي وأولجايتو محمد

كان أول ظهور للسيد تاج الدين في حياة السلطان الإيلخاني أولجايتو محمد كما جاء في مقدمة كتاب قواعد الأحكام: (ورد على السلطان السيد تاج الدين الآوي الإمامي مع جماعة من الشيعة فشرعوا في المناظرات مع القاضي (نظام الدين) في محضر السلطان في مجالس كثيرة وكانت مناظراتهم بمثابة المقدمة للمناظرة الكبيرة التي وقعت بين علماء السنة والعلامة الحلي بمحضر السلطان)[٨].

من النص السابق نستفيد ما يلي:

١ـ أن تاج الدين كان معاصراً للعلامة الحلي وقد تكون بينه وبين العلامة صلات وثيقة خصوصاً إذا عرفنا قرب الكفل من الحلة.

٢ـ الظاهر أن تاج الدين كان شخصية علمية معروفة وإن ذكروا أن بداية أمره كان ـ وعاظاً ـ إلا أن النص السابق يبين أن السيد تاج الدين كان ضمن وفد عالي المستوى ذهب لمقابلة السلطان والشروع بالمناظرة مع نظام الدين الخواجة عبد الملك المراغي أفضل علماء الشافعية، بل أفضل علماء السنة مطلقاً.

٣ـ يشير النص إلى أن: (مناظرة الوفد مع المراغي كانت بمثابة المناظرة الكبيرة التي وقعت بين علماء السنة والعلامة الحلي) والظاهر نتيجة هذه المناظرة كانت الإعلان عن تشيع السلطان وإعلان المذهب الشيعي رسمياً في البلاد إلا أننا لا نعلم هل كان العلامة الحلي قد قدم إلى إيران لأجل المناظرة بغض النظر عن

موضوعهـا أم أن المناظرة حدثت بصورة مفاجئة، فقد اسـتعصى مشكل فقهي على السـلطان، ولم يسـتطع الوصول إليه عن طريق الفقهـاء الذين كانـوا حوله عندما طلـق زوجته ثلاثـاً، وأراد الرجـوع إليها فاحتار أرباب المذاهب السـنية في الفتيا التـي لم تجوز رجـوع المطلقـة ثلاثاً إلا بزواج آخـر خلاف ما يذهـب إليه علماء الشـيعة في تضييق دائرة الطلاق فلا يقع الطلاق بالثلاث إلا واحدة[٩].

مهمـا يكن من أمـر فقد نشـأت بين السلطان أولجايتو محمد والسيد تاج الدين الآوي علاقـة وطيـدة أثمرت عـن تعيينه من قبـل السـلطان نقيب نقبـاء الممالك الإسـلامية في عموم الدولـة الإيلخانية، وكان المنصـب خطراً للغايـة فهو يتكفل بأمر العلويين والدفاع عنهم وعن حقوقهم ويرتـب النقباء علـى الأمصـار والبلدان الإسـلامية وقد أدت مناظرة السـيد تاج الدين فـي مجلس السـلطان عزم الأخير في السفر إلى بغداد ثم الذهاب إلى زيارة أمير المؤمنين عليه السلام[١٠].

لـم نعثـر بالرغـم مـن التتبـع عـن أساتذة السـيد تاج الدين أو تلامذته ومن الطبيعـي أن يكـون رجلاً بهذا المسـتوى العلمـي والمعرفي العالي قـد تتلمذ على أيدي أسـاتذة أكفاء خصوصـاً وأن الحلة كانـت مثل منـارة العلم وبلـد العلماء وما يدعـم القـول بعلمـه مـا أورده الميرزا النـوري بقولـه: (كان صديـق علـي بـن طاووس)[١١].

السلام عليك ياتاج الدين
إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا

حادثة استشهاده

اجتمعت عدة أسباب كان رابطها الحقد الأعمى فأودت بحياة السيد تاج الدين الآوي وولديه وكان أبرزها كما ذكر التاريخ:

١ـ حسد الوزير رشيد الدين الطبيب وزير السلطان أولجايتو محمد الذي كان يغتاظ من تقريب السلطان للسيد تاج الدين حيث تحايل عليه وأخذ يلفق قصصاً ضده مما أوجد حالة من التنافر بين السلطان والسيد تاج الدين.

٢ـ تعاون الوزير نفسه مع اليهود في القضاء على السيد تاج الدين، فقد كان السيد إماماً لمسجد (النخيلة الجامع) حيث مرقد ذي الكفل وكان يقيم الجمعة والجماعة في هذا المسجد باعتباره مقاماً للإمام علي عليه السلام حينما عسكر بالنخيلة في خروجه إلى حرب صفين حيث قام هذا السيد بتجديد بناء المسجد بأمر السلطان أولجايتو محمد سنة (٧٠٣هـ)، وهناك روايتان:

إحداهما: تشير إلى منع السيد تاج الدين اليهود من اجتياز المسجد للوصول إلى المرقد وأشار عليهم بضرورة استخدام الباب الغربي للمقام وهو المدخل الرئيس للمرقد[١٢].

وثانيهما: أن السيد منع اليهود من الاقتراب إلى المرقد ونصب في صحنه منبراً مما أثار غضبهم واستيائهم فقرروا التخلص من السيد واستمالوا رشيد الدين الذي تشير بعض المصادر إلى يهوديته ليحقق غايتهم[١٣] .

٣ـ كان نقيب العراق السيد شمس الدين حسين بن السيد تاج الدين وقد عامل العلويين بنوع من الظلم والتجبر مما

أدى إلى تذمرهم المستمر من أفعاله نتيجة لما يلاقوه منه[١٤].

هيأت الأسباب الثلاثة فرصة سانحة للوزير رشيد الدين فتحرك على السلطان وأوجد جواً مناسباً للتخلص من السيد وأكد للسلطان أن العلويين أنفسهم يريدون التخلص منه وأن الحل الأمثل أن يتم تسليم السيد وولديه إليهم ليفعلوا بهم ما يرونه مناسباً.

التقى رشيد الدين بادئ الأمر بجلال الدين ابن الفقيه وكان سفاكاً جرياً على هدر الدماء وحاول بشتى الطرق دفعه إلى قتل السيد تاج الدين وولديه، فواعده بأن يكون له حكم العراق نقابة وقضاءً وصدارة، فامتنع الثاني وقال: لا أقتل علوياً قط، ثم توجه من ليلته إلى الحلة، فأعاد المحاولة مع السيد ابن أبي الفائز الموسوي الحائري وأطمعه أيضا بنقابة العراق فامتنع أيضا وهرب إلى الحائر من ليلته، وأخيرا وجد رشيد الدين ضالته في أحد العلويين المدعو جلال الدين إبراهيم بن المختار، حيث استطاع بمكره أن يستميل الأخير فأطمعه بنقابة العراق فاستجاب لدعوته وخرج بالسيد تاج الدين وولديه شمس الدين حسين وشرف الدين علي إلى شاطئ دجلة فأمر أعوانه فقتلوهم وقدم قتل ابني السيد تاج الدين قبله عتواً وتمرداً وكان ذلك في ذي القعدة سنة ٧١١هـ، (وفي بعض المصادر في ثالث ذي الحجة سنة ٧١١هـ)[١٥] وأظهر عوام بغداد الحنابلة التشفي بالسيد تاج الدين وقطعوه قطعاً وأكلوا لحمه ونتفوا شعره وبيعت الطاقة من شعر لحيته بدينار، فغضب السلطان لذلك غضباً شديداً وأسف من قتل السيد وولديه فأوهمه رشيد الدين إن جميع سادات العراق اتفقوا على

قتله، فأمر السلطان بقاضي الحنابلة أن يصلب ثم عفا عنه بشفاعة جماعة من أرباب الدولة فأمر أن يركب على حمار أعمى مقلوب ويطاف به في أسواق بغداد وشوارعها وتقدم بأن لا يكون من الحنابلة قاض[١٦].

ولكن أين كان العلامة الحلي حينما قُتل السيد تاج الدين، وهو صاحبه من قبل وكليهما نالا الجاه عند السلطان محمد أولجايتو؟ هل كان تأثير رشيد الدين اليهودي على السلطان أكثر من تأثير العلامة الحلي الذي غيّر فكر المؤسسة الحاكمة بأسرها؟ لماذا لم يلتمس السلطان لمنع رشيد الدين من قتل السيد تاج الدين.

وأخيراً لم يلبث رشيد الدين أن قُتل، حيث قتله السيد عز الدين طالب الدلقندي وذلك في سنة ٧١٨هـ[١٧]، أما السلطان محمد أولجايتو فقد مات سنة ٧١٦ ومن المؤرخين من يرى إن السيد تاج الدين قتل بعد وفاة السلطان أولجايتو محمد حيث ذكر الشيخ الأميني: (ولما صار محمد خدابنده شيعياً طلب هذا السيد إلى حضرته وجعله من مقربي مجلسه الخاص وظهرت من السيد آثار عظيمة فساء رجال الدولة، ولما مات السلطان اغتنموا الفرصة واتهموا السيد بمخالفته لتلك الدولة وموافقته مخالفيها وأشهدوه

ثم قتلوه)[١٨].

مرقد السيد بين الماضي والحاضر

الظاهر إن مقتل السيد تم بحضور أعدائه المناوئين له والحاقدين عليه فعبارة المؤرخ: (...وأظهر عوام بغداد الحنابلة التشفي، تفيد ذلك وإن السيد مُثّل بجثمانه قبل أن يدفن).

بقي المرقد غير ظاهر للعيان حتى عهود متأخرة ويبدو إن الشيخ محمد حرز الدين أول من أشار إليه، معيناً المكان بالضبط ولم يذكر كيف اهتدى إلى الموضع فعينه، حيث ذكر: (مرقده بالعراق قرب نهر دجلة في الموضع المعروف اليوم بـ(الحُفيرة) يبعد فرسخين عن حدود بغداد، وقرابة ثلاثة فراسخ عن قرية (العزيزية) للذاهب من بغداد إلى الكوت ماراً بها، وعلى قبره قبة قديمة تقصده الأعراب بالزيارة وتنذر له النذور)[١٩].

وعندما حقق حفيد المؤلف الشيخ محمد حسين حرز الدين كتاب مراقد المعارف زار المرقد وأعطى صورة واضحة عن وضع المرقد قائلاً: (يقع بين مدينة العزيزية ومدينة الصويرة والقبر يبعد عنها حوالي الساعتين من الجهة اليسرى لنهر دجلة، ويبعد قبره اليوم عن مجرى نهر دجلة حدود العشرين دقيقة للماشي، كما

يبعد عن الطريق العام بغداد-كوت مسيرة ربع ساعة للماشي أيضاً، وقد سلكته ماشياً لعدم وجود واسطة هناك ويشاهد قبره من الطريق العام المبلط جانب اليسار، فقد ذهبت إلى قبره ووقفت عليه ضحى يوم الخميس ٨ رجب سنة ١٣٨٧هـ/ ١٢ تشرين الأول ١٩٦٧م، وكان قبره جديد البناء فخماً بسعي سادنه من قبيلة شمر طوقه، وكان على قبره شباك مصنوع من الخشب والصفر الأصفر بارتفاع ٢،٥م، وعرض ٢م وطول ٢،٥م وعليه ستار أخضر في حرم مربع البناء بخمسة أمتار ونصف كل من طوله وعرضه، فوق قبره قبة شامخة البناء بارتفاع قرابة ١٢م وقد طليت بالصبغ الأخضر، ومرقده مجهز بالمصابيح الكهربائية، أمام قبره طارمة بخمسة اسطوانات إلى جنبه رواق هو مقر للزائرين، وعلى قبره لوح معلق كتب فيه: (السيد تاج الدين... بن زيد الداعي) وبباب حرمه لوحة أيضا مكتوب عليها زيارته ونسبه الوضاح، وخلف مرقده مقبرة يدفن المسلمون موتاهم فيها الذين لم ينقلوا إلى وادي السلام في النجف الأشرف.

ويقع مرقده في ارض زراعية، ولم يكن حول قبره بيوت غير بيت سادنه فقط)[٢٠].

زيارتنا للمرقد

توجهنا يوم السبت ١٠ جمادى الآخرة سنة ١٤٣٢هـ المصادف ١٤ أيار ٢٠١١م إلى

المرقد من النجف الأشرف مروراً بالحلة فناحيــة النيل ثم ناحية جبلــة ثم إلى ناحية الصويــرة حيث يبعد المرقد عن الصويرة حوالــي ١٥ كم فــي منطقة كانت تســمى (الحفرية) واليوم تنســب إلى الســيد تاج الدين، ثم انعطفنا يساراً نحو شارع فرعي يدعى (نزلة التاج) حيث يؤدي هذا الشارع إلى المرقد المبارك.

التقينا بالحاج أحمد الشــمري الأمين الخاص لمزار الســيد تاج الدين حيث بدأ بالحديث عن المرقد منذ ظهوره إلى اليوم قائلاً: (في سنة ١٨٩٠ كان جدي المرحوم الحاج علي خان ســاكناً فــي هذه المنطقة وبالصدفــة بينمــا كان فــي أرضــه يعمل مزارعــاً وأثنــاء الحفر عثــر على صخرة كبيــرة حاول جاهداً فهــم النص المكتوب عليها فلم يستطع، وعندما جاء من يثق بهم أطلعهم على الصخــرة فقرؤوا النص وإذا به يشير إلى (مرقد السيد تاج الدين الآوي وولديــه) وكان ذلك اليــوم بمثابة الإعلان عن وجود هذا المرقــد ومنه بدأت عملية الأعمار التي أخذت شكلا متسلسلاً تتقدم بتقدم الزمان وحسب ما يلي:

١ـ ســنة ١٨٩٠م تم إبراز القبر بصورة بســيطة حيث تم وضع علــى عليه صخرة تشير إلى صاحبه.

٢ـ ســنة ١٩٣٠م بنيت على القبر غرفة صغيرة من الطين.

٣ـ سنة ١٩٤٠م تم توسيع الغرفة بإضافة قطعة ارض لها لتسع الزائرين الذين بدءوا

يتوافدون على المرقد بصورة متزايدة.

٤- سنة١٩٥٠م ذهب عبد التاج حمد ورهيف حمد (أحفاد علي خان الشمري) وهم القائمون على خدمة المزار حينها إلى مدينة النجف الأشرف للتحقق من صحة نسب صاحب القبر والتأكد من محل استشهاده ومقارنته بالمكان الموجود الآن وقد تبين صحة ذلك بشهادة المؤرخين والنسابين.

٥- سنة ١٩٥٤ طغى الماء في نهر دجلة فحدث فيضان، مما أدى إلى وصول الماء إلى المرقد وكانت أمام المرقد مقبرة يدفن فيها الناس موتاهم، وعندما وصلها الماء، حولها الناس إلى الجهة الخلفية للمرقد حيث يكون منسوب الأرض الطبيعي أعلى من الجهة المقابلة للمرقد وفي نفس العام، بدأ العمل بهدم الغرفة القديمة والبناء بالطابوق والشيلمان وتم بناء قبة بارتفاع ٤متر، فوق السطح.

٦- سنة ١٩٥٩م أكتمل البناء وظهرت أول بناية منسقة للمرقد.

٧- سنة ١٩٦٧م تم إيصال الكهرباء إلى المرقد عن طريق أعمدة خشبية توصل التيار من الخط الرئيسي إلى المرقد، كما بنيت باحة مقابل المرقد لإيواء الزائرين.

٨- سنة ١٩٧٥م باشر سدنة المرقد بمساعي المتبرعين من المحسنين ببناء صحن كبير يحيط بالمرقد واستمر العمل فيه لغاية سنة ١٩٨٠م حيث تم في هذا العام بناء سقيفة من الخرسانة تحيط بالصحن

وتم وضع الأبواب الخارجية للصحن.

٩- سنة ١٩٨٢م تم تغليف الواجهة الأمامية بالكاشي الكربلائي، كما زُيّنَ المرقد بالزخارف الإسلامية والآيات القرآنية، كما عُبّد الطريق المؤدي إلى المرقد بالحصى الخابط (السبيس) بعدما كان ترابياً.

١٠- سنة ١٩٨٧م تم تغليف القبة من الداخل بالمرايا المزججة.

١١- سنة ١٩٩٠م تم استبدال الشباك الخشبي القديم بشباك مصنوع من الألمنيوم.

١٢- سنة ١٩٩٣ بنت قبة جديدة فوق القبة القديمة وقد غلفت بالكاشي الكربلائي، وتم إكمال تغليف واجهة الصحن الأمامية ووضعت لوحة تشير إلى السيد تاج الدين ونسبه المبارك فوق الباب الرئيسة.

١٣- سنة ١٩٩٧م بوشر بالتوسعة الأخيرة للحضرة الداخلية، وتضمن العمل إلى جانب التوسعة، تغليف الجدران بالمرمر وإكساء الأرضية بالبورسلين وغير ذلك من الأعمال الأخرى.

١٤- سنة ٢٠٠٣ وبسبب سقوط النظام البائد وما ترتبت عليه من أوضاع انعدم فيها الأمن توقفت عملية التحديث والتطوير في المرقد، وفي سنة ٢٠٠٤ عادت عجلة الأعمار من جديد ولكن بصورة بسيطة.

١٥- سنة ٢٠٠٨ دخل المرقد ضمن نطاق الأمانة العامة للمزارات الشيعية وأصبحت النذور تحول إلى حساب في

المصرف باسم المرقد على أن تصرف على أعمال الصيانة وإعادة الأعمار، ولكن لحد الآن لم تباشر الأمانة بأي عمل على صعيد التحديث والتجديد وكل الأعمال التي ذكرتها سابقاً والتي نشرع ببعضها بين الحين والآخر هي من تبرعات المؤمنين، خذ على سبيل المثال الشباك الفضي الجديد الذي نُصب فوق الضريح يوم ١٦/نيسان/٢٠١١، فقد تبرع به المحسن الحاج هاشم الحاج علوي الشمري وغير ذلك من النذور والهبات.

وهناك ارض تبلغ مساحتها ٦دونم تعد من أوقاف مرقد للسيد تاج الدين.

وصف المرقد

يتربع المرقد على مساحة تقدر بـ(٢٥٠٠متر مربع)، تمثل الصحن الذي يحيط بالمرقد، تتوسط الباب الرئيسة الواجهة القبلية للمرقد، تعلوها قطعة تعريفية تتضمن أسم صاحب المرقد ونسبه، فيما يبدو الصحن بحالة غير جيدة حيث الأرضية غير معبدة والجدران الخارجية تبدو عليها آثار القدم وان كانت مطلية بالصبغ، وتتقدم على المرقد باحة مسقفة تستند على ستة أعمدة مغلفة بالمرمر، كما تتوسط الباب المؤدية إلى داخل المرقد الواجهة الأمامية، منها يمكن الدخول إلى المرقد الذي تبلغ مساحته حوالي ٤٤٠متر مربع، حيث يطالع الزائر رواق متصل يحيط بالحضرة الداخلية، وقد قُسم إلى جزئين أحدهما خاص بالرجال، والآخر للنساء، ينفذ الرواق المتصل إلى الحضرة عن طريق أربع فتحات كبيرة تتوسط الجهات الأربعة.

أما الحضرة الداخلية فتعلوها قبة يبلغ ارتفاعها حوالي ٥م وقطرها ٥م أيضاً مزججة بالمرايا، ومن الخارج مغلفة بالكاشي الكربلائي الأخضر مكتوب حولها أسماء الأئمة المعصومين عليهم السلام.

أما الشباك الجديد فينتصب على القبر، يبلغ طوله حوالي ٢،٥م وعرضه٢م وبداخله صندوق مغطى بالقماش الأخضر.

ودعنا المرقد الطاهر وحكاية العنف التي كتب السيد تاج الدين بدمه احد فصولها تلامس مشاعرنا وإن كانت هذه الفصول مستمرة لهذا اليوم تتجدد فيها صورة تاج الدين نفسها بإطار مختلف ■

---

(١) كمونة، موارد الإتحاف في معرفة الأشراف،١/١١٣.
(٢) المصدر السابق، ص٢٩.
(٣) منتقلة الطالبيين، ص٣٤.
(٤) العمري، المجدي في أنساب الطالبيين، ٢١٣.
(٥) الإمام تاج الدين الآوي، مقالة في موقع شبكة البصرة.
(٦) الحلي، إرشاد الأذهان، ١/١٢٩.
(٧) الحلي، قواعد الأحكام، ١/١١٤
(٨) القزويني، المرجعية الدينية العليا، ص١١٥.
(٩) الحلي، إرشاد الأذهان، ١/١٢٩.
(١٠) النوري، خاتمة المستدرك، ٢/٢٦٦.
(١١) الذرب، موقع شبكة البصرة، الإمام تاج الدين.
(١٢) حرز الدين، مراقد المعارف، ١/٢١٦.
(١٣) المصدر السابق.
(١٤) حرز الدين، معارف الرجال،١/٢١٨.
(١٥) شهداء الفضيلة، ١٦٧.
(١٦) كمونة، موارد الإتحاف في معرفة الأشراف،١/١١٤.
(١٧) الخشاب، جامع التواريخ، ص٥٥.
(١٨) الأميني، شهداء الفضيلة، ص١٦٨.
(١٩) مراقد المعارف، ١/٢١١
(٢٠) المصدر السابق.

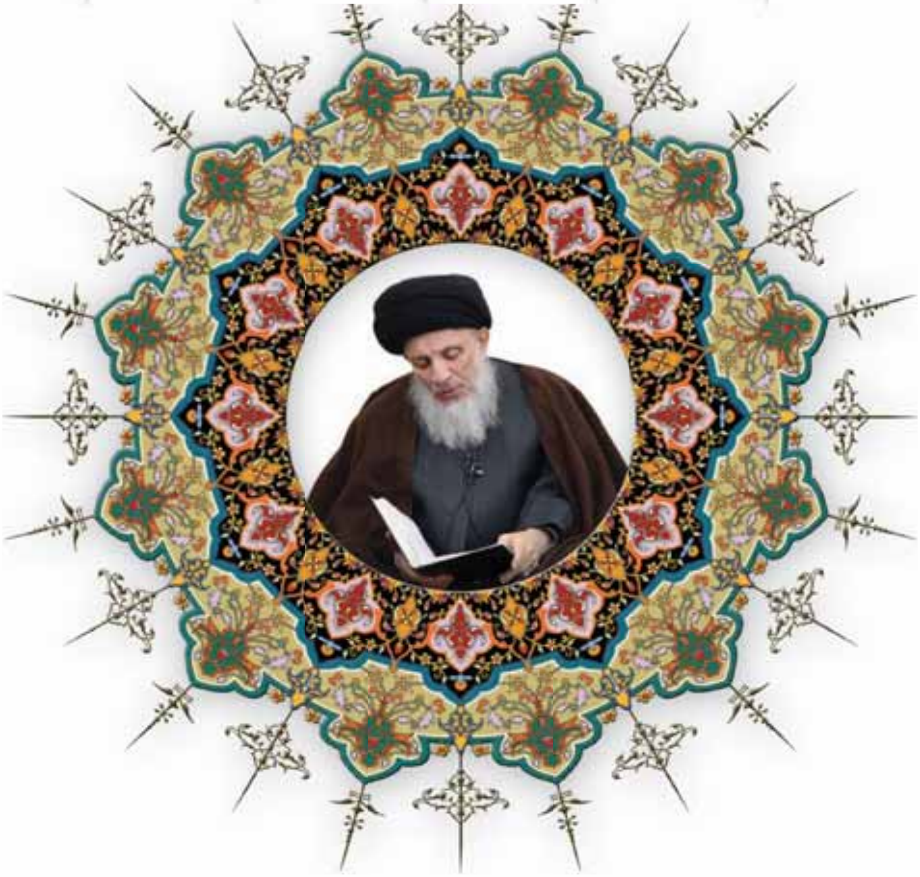

بسم الله الرحمن الرحيم

سماحة آية الله العظمى السيد محمد سعيد الحكيم (دام عزه)

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

تشكل بحوث الخلايا الجذعية اليوم ثورة نوعية في الدراسات الطبية في الدول المتقدمة. ويعول المختصون كثيراً على هذه البحوث في علاج الكثير من الأمراض المستعصية، كمرض السكري والسرطان والزهايمر (فقدان الذاكرة) والباركنسون (الشلل الرعاشي) واللوكيميا (سرطان الدم) وأمراض القلب وذلك من خلال إصلاح وبناء البنكرياس والكبد والمعدة والعظام والعضلات والجهاز العصبي والمخ...

وذلك باستغلال الطبيعة الهيولانية لما يسمى بالخلايا الجذعية غير المتخصصة وقابليتها للتشكيل بأي صورة نسيجية مطلوبة.

ولما كان تقدم الجنين في عمره يضيق مجال الاستفادة من خلاياه الجذعية، لاندراجها في مسالك تخصصية تكسبها الممانعة عن التشكل بالمراتب التكوينية للمسالك الأخرى، حتى صنفت عندهم ـ بملاحظة العلاقة بين سعة قابلية التشكل وبين تقدم عمر الجنين ـ إلى أربعة أصناف: كاملة القدرة، وافرة القدرة، متعددة القدرة، وأحادية القدرة.

لذا فقد فضّل المختصون انتزاع هذه الخلايا الأولية في المراحل المبكرة لحياة هذا الكائن في عمر (٦ـ١٢) يوماً ـ وهي المختصة باصطلاح الخلايا الجذعية الجنينية ـ وإن أدى ذلك إلى موت هذا الكائن.

فضّلوه على انتزاعها من دم الحبل السري للسقط أو للجنين الحي ـ وهي التي يصطلح عليها بالخلايا الجذعية للبالغين ـ بما لا يؤثر على حياته، لذا نرجو من سماحتكم التفضل ببيان الموقف الشرعي من الحالات التي تعرضها الأسئلة التالية:

□ السؤال الأول:

هل يجوز إجراء هذه البحوث على الإجمال وإن أدت إلى موت هذا الكائن (zygote). نسميه هنا بالجنين وإن كان في أيامه الأولى (٦ـ١٢) يوماً، وهو في هذه الحال ليس إلا مجموعة من خلايا التكاثر؟

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله الطاهرين ولعنة الله على أعدائهم أجمعين إلى يوم الدين.

لا يجوز ذلك، لاحترام الجنين بمجرد انعقاد النطفة وتلقيحها للبويضة. للنص الدال على وجوب الدية بقتله، ولا تكون الدية إلا لاحترامه. وللنص الدال على وجوب الكفارة بإسقاطه على الإطلاق من دون تحديد بعمر خاص أو حال خاص، والكفارة لا تكون إلا من الذنب، فيدل ذلك على حرمة الإسقاط وقتل الجنين مهما كان عمره. أما البويضة والحيمن قبل حصول التلقيح فلا حرمة لكل منهما إذا رضي صاحبه ببذله.

□ السؤال الثاني:

متى يعدّ الجنين ـ في الشرع ـ إنساناً يحرم

قتلـه؟ وهل لمـا ذكر في النصوص الشـريفة من تأخـر ولـوج الـروح أثر على الحكم في المسألة؟ وإذا كان ففـي أي مرحلة من حيـاة الجنين يحدث ذلك الولوج؟

الجواب:

يحـرم قتله بمجرد حصـول التلقيح كما سـبق في جواب السؤال الأول. ولا أثر لولوج الروح في ذلك، غاية الأمر أن للتكامل دخلاً في زيادة الدية.

□ السؤال الثالث:

هـل لكـون الممارسـة بحثية صرفـة أو بحثية لغرض علاج الأمراض أو علاجية فعليـة أثر على الحكم في المسألة؟

الجواب:

لا أثر لذلـك في حرمة الاعتداء على النفس المحترمة، كما هو الحال لو كان المعتدى عليه إنساناً متكاملاً كبيراً.

□ السؤال الرابع:

هل لكـون الجنين ناتجاً مـن تلقيـح صناعي أثر على الحكم في المسألة؟

الجواب:

لا أثـر لذلـك بعد مراعـاة التفصيل الآتي في جواب السؤال الخامس.

□ السؤال الخامس:

هـل لنمـو الجنيـن في المختبـر أو فـي رحـم المـرأة أثر علـى الحكم في المسألة؟

الجواب:

لا إشـكال فـي حرمة الاعتـداء على الجنين الذي ينمو وهو في رحم المرأة، سـواء كان تلقيحه طبيعيـاً في رحمها أم صناعياً خارج الرحـم. والأحوط وجوباً عـدم الاعتـداء على الجنيـن الذي ينمو وهو في المختبر إذا كان التلقيح من أجل زرعه في رحم المرأة.

وأما إذا تم التلقيـح في المختبر من دون أن يكـون هنـاك رحـم يسـتقبله، بحيث يمـوت على كل حـال، فلا بأس بالاسـتفادة منه قبل موته أو بعده، لعدم تناول النص السابق له.

نظير ما يأتي في السؤال الثامن.

□ السؤال السادس:

هـل لأخـذ الخليـة أو الحويمن أو البويضة من مسـلم أو غير مسلم أثر على الحكم في المسألة؟

الجواب:

لا أثـر لذلك فـي التحريـم، للنص الدال على عدم جواز قتل أطفال الكفار حتى في حالة الحرب.

□ السؤال السابع:

مـا حكـم انتـزاع هـذه

الخلايا من جنين متقدم في العمر فيما إذا كان الانتزاع غير ضار بحياة الجنين؟ وفيما إذا كان الضرر محتملاً؟ وفيما إذا كان الضرر يقينياً؟ وما هو مقدار الضرر المسموح بإيقاعه في جسد هذا الكائن في مقابل إنقاذ حياة مريض؟ أو استعادة عافيته من مرض مستعصٍ؟

الجواب:

لا يجوز انتزاع الخلايا المذكورة إذا أوجبت ضرراً متيقناً أو محتملاً للجنين. نعم إذا كان الضرر مأموناً فيجوز أخذها منه بإذن وليه.

ويكفي في التحريم أدنى ضرر، لأنه تعدّ وظلم للجنين الذي لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرّاً، ولا يستطيع أن يحمي نفسه، بل هو أمانة بيد وليّه، فيجب الحفاظ عليه أداء للأمانة. كما يحرم ظلمه والتعدي عليه، لأن أفحش الظلم وأشده تحريماً ظلم من لا يجد ناصراً إلا الله تعالى، كما ورد في أحاديث أئمة أهل البيت (صلوات الله عليهم).

□ السؤال الثامن:

يتبقى عدة أجنة إضافية بعد عملية زرع أطفال الأنابيب، هل تجوزون استخدامها للبحث الطبي بدل أن تتلف لعدم زراعتها بالرحم؟

الجواب:

نعم يجوز ذلك، ويظهر وجهه مما تقدم في جواب السؤال الخامس.

□ السؤال التاسع:

ما حكم انتزاع هذه الخلايا من السقط مع ملاحظة الحيثيات التي ذكرت في الفروض السابقة إن كان لها أثر في الحكم؟ وهل يتأثر الحكم في المسألة فيما لو أدى الإقبال على شراء السقط من عيادات الإجهاض غير الشرعي إلى تشجيع تلك الممارسة غير الشرعية؟

الجواب:

يحرم انتزاعها منه إن كان محكوماً بالإسلام لإسلام أبيه. بل حتى إسلام أمه وحدها على الأحوط وجوباً. أما إذا لم يكن محكوماً بالإسلام فيجوز انتزاع الخلايا منه. نعم يحرم شراؤه إذا كان فيه تشجيع على الممارسة المحرمة.

□ السؤال العاشر:

إذا استخدمت نواة خلية من نفس صاحبة البويضة لتخصيب البويضة، فهل يؤثر على الحكم؟

الجواب:
نعم لذلك أثر على الحكم، فلا يجري فيه ما سبق، بل يجوز الاستفادة منه، وانتزاع الخلايا المطلوبة منه حينئذٍ، لقصور أدلة التحريم المتقدمة عنه، لاختصاصها بالجنين الناتج عن التلقيح بالحيامن.

□ السؤال الحادي عشر:
من الطرق المبتكرة في استحصال الخلايا الجذعية طريقة الاستنساخ العلاجي (في مقابل الاستنساخ التكاثري) وذلك بأخذ خلايا من جسد شخص مريض ونقل نواها إلى بويضة مفرغة من نواتها ومنتزعة من امرأة بإذنها، لتحفيز نمو جنيني بدون تلقيح بالحيامن، فهل يجوز إيقاف نمو هذا الكائن في أيامه المبكرة بانتزاع الخلايا الجذعية منه، لينتفع بها في تنمية نسيج يعالج به نفس المريض؟

الجواب:
نعم يجوز ذلك، لقصور أدلة التحريم المتقدمة عنه، نظير ما تقدم في جواب السؤال العاشر.

□ السؤال الثاني عشر:
ما هو الموقف الشرعي من إنتاج ما يسمى بحقيبة الأعضاء، وهو كائن عديم الرأس والأطراف ناتج من التصرف في الخلايا الجذعية للجنين؟ وما حكم الاستفادة من أعضائه بعد إنتاجه؟ وهل يتوقف على إذن الأشخاص الذي استنسل منهم؟

الجواب:
إذا كان التصرف في خلايا الجنين بعد تلقيح البويضة بالحيمن في الرحم حرم، كما تقدم في جواب السؤال الخامس. وإذا كان بعد تلقيحه في المختبر من أجل زرعه في رحم المرأة فالأحوط وجوباً تركه، كما تقدم هناك أيضاً.

وإذا كان بعد تلقيحه في المختبر من دون أن يكون هناك رحم يستقبله جاز، كما تقدم هناك أيضاً، وتقدم أيضاً في جواب السؤال الثامن. وكذا يجوز إذا كان إنشاء الكائن من طريق الاستنساخ، كما تقدم في جواب السؤال الحادي عشر.

سيدي سماحة المرجع الكبير:
حيث إني بصدد كتابة رسالة دكتوراه في موقف علماء المذهب الشيعي من هذه البحوث في جامعة أجنبية تجهل عن الدين الإسلامي كل ثوابته وأصوله. لذا أرجو التفضل ببيان ما يمكن طرحه من المباني الاستنباطية الخاصة بهذه المسألة والمباني العامة المعتمدة في التعاطي مع نظائرها من المسائل المستحدثة. وقد عيّن الأستاذان المشرفان ـ وهما لا دينيان ـ المحاور التالية للبحث:

□ السؤال الأول:
ما هي القاعدة التي يتعاطى على أساسها علماء الأديان ـ بشكل عام ـ مع القضايا العلمية الراهنة؟ وما هي الآلية في بناء الموقف الشرعي أو الأخلاقي من تلك المسائل؟

الجواب:
الأديان شرعها الله تعالى على أن تبقى بحدودها التي جعلها الله تعالى مادامت فاعلة يجب على البشرية اعتناقها، ولم تنسخ بدين إلهي جديد يكون هو البديل عن الدين السابق نتيجة تطور المجتمع البشري حسبما يراه الله تعالى صلاحاً.

وكما كان تشريع الدين تابعاً لله تعالى فالتصرف فيه وتبديل حدوده وشرائعه تابع له عز وجل. نظير القوانين الوضعية التي يكون تبديلها وتحويرها تابعاً للسلطة التشريعية التي شرعتها.

ولو ساغ التغيير في الدين لغير الله سبحانه لخرج عن كونه ديناً إلهياً قد ألزم الله البشرية باعتناقه. ونسبته إلى الله تعالى بعد تغييره تجاوز عليه سبحانه وافتراء.

وقد شدد الله تعالى النكير على ذلك، وأنذر بعظيم العقاب. قال سبحانه: (وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ)، وقال عز وجل: (وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ* لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ * فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ)... إلى غير ذلك مما هو كثير جداً.

وليست وظيفة المرجعيات الدينية البشرية ـ من الأنبياء، ثم الأوصياء، ثم العلماء ـ إلا التعرف على الدين وأخذه من مصادره وتراثه الأصيل، ثم التعريف به وبيانه للجمهور بحقيقته من دون تحوير ولا تغيير، مهما كلّف ذلك من ثمن، ومن دون اهتمام بإرضاء الناس ولا مراعاة لضغوطهم أو عواطفهم (فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيَكْفُرْ). ولا يهمهم تكثير المنتسبين للدين ولا كسب إعجاب الآخرين به على حساب تحويره وتحريفه.

إلا أن كثيراً من الأديان لم تجر على ذلك عملياً، فجعلت مؤسساتها الدينية

لنفسها الحق في التصرف في الدين وتحويره. وتقبل منها معتنقو تلك الأديان ذلك، وألفوه حتى صار جزءاً من الدين كواقع قائم.

وقد شدد الله تعالى عليهم النكير في ذلك. قال عز وجل: (اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ). وفي حديث أبي بصير عن الإمام الصادق عليه السلام: «قلت له: (اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ) قال: أما والله ما دعوهم إلى أنفسهم. ولو دعوهم إلى عبادة أنفسهم ما أجابوهم. ولكن أحلوا لهم حراماً وحرموا عليهم حلالاً، فعبدوهم من حيث لا يشعرون». والنصوص في ذلك كثيرة جداً.

وعلى كل حال فقد كان دين الإسلام معرضاً للخطر المذكور نتيجة انحراف مسار السلطة عن أهل البيت عليهم السلام، وتصديها لأن تكون هي المرجع في الدين، لولا جهود أئمة أهل البيت (صلوات الله عليهم) الاستثنائية، وتضحياتهم الجسيمة من أجل إسقاط شرعية السلطة، وحمل المسلمين على الاعتراف بالمرجعية الحقيقية للدين، وأنه إليها تنتهي الاجتهادات وعليها تعرض الخلافات. وهي القرآن المجيد والسنة النبوية الشريفة. وإذا خرج أحد عن ذلك عملياً فلا يستطيع إنكاره نظرياً.

وبذلك قامت الحجة على دين الإسلام الحق، واتضحت معالمه، ولم تنطمس كما انطمست معالم كثير من الأديان الأخرى أو جميعها.

وقد تعرض نا لجهود أئمة أهل البيت عليهم السلام وتضحياتهم من أجل ذلك في كتابنا (فاجعة الطف) الذي صدر قريباً.

وعلى ضوء ذلك يتضح الجواب عن السؤال المذكور، وأن المؤسسات الدينية في الأديان المختلفة تختلف في معالجتها للقضايا العلمية الراهنة.

فالمؤسسات التي جعلت لها الحق في التصرف في أديانها تعالج القضايا المذكورة على ضوء نظرة المؤسسة نفسها للقضية في جانبها الأخلاقي والاجتماعي وغيرهما، وتصدر أحكامها حسب ما تراه الأصلح والأنسب، من دون تقيّد بنص شرعي، ولا بتعاليم دينية ثابتة.

أما المؤسسة الدينية في الإسلام فالمفترض أن تصدر أحكامها على ضوء الكتاب المجيد والسنة النبوية الشريفة، والتقيد بنصوصهما بعد تمحيصها والجمع بينها وفق الضوابط الثابتة دينياً. وإن أمكن اختلاف المجتهدين في فهم النص، وفي الضوابط التي يمكن الوصول من طريقها للحقيقة الدينية.

□ السؤال الثاني: كيف يتعاطى علماء الشيعة خاصة مع تلك المسائل؟

الجواب:

مما سبق في جواب السؤال الأول يتضح منهج الشيعة، بل جميع المسلمين، في التعامل مع تلك المسائل، وأنه يكون على ضوء الكتاب المجيد والسنة النبوية الشريفة.

غاية الأمر أن الشيعة أثبتوا من طريق الكتاب المجيد والسنة النبوية الشريفة

إمامة الأئمة الاثني عشر من أهل البيت عليهم السلام ـ واحداً بعد واحد ـ بعد النبي صلى الله عليه وآله للمسلمين، وأنهم أوصياؤه الوارثون لعلمه المبلغون عنه، المعصومون من الزلل المأمونون على تعاليمه من الخطأ والتحريف، وأن على المسلمين الرجوع لهم والأخذ منهم والعمل بأقوالهم والجري على تعاليمهم.

ونتيجة لذلك فعلماء الشيعة يتعاملون مع النصوص الواردة عن الأئمة المذكورين عليهم السلام كما يتعاملون مع النصوص النبوية في معالجة جميع القضايا التي ترد عليهم، سواء السابقة منها أم المستجدة.

□ السؤال الثالث:
هل يجب أن يكون غرض البحث الطبي هو معالجة المرضى حصراً؟ وإذا كان فهل تحدده العواقب؟ وكيف؟

الجواب:

تحديد غرض البحث الطبي تابع للطبيب نفسه. والذي يخصّ العالم الشيعي هو معرفة حكم مفردات العمل الذي يقوم الطبيب به وفق التعاليم الدينية والضوابط الشرعية التي وصل إليها العالم الديني بجهده، ثم بيان ذلك للطبيب ليعمل عليه إذا كان مهتماً بالجانب الشرعي.

□ السؤال الرابع:
ما هي الحدود التي لا يجوز للبحث الطبي تخطيها؟ ومن الذي يحدد ذلك؟

الجواب:

يجب أن لا يتجاوز الطبيب الحدود التي حددها الله تعالى في دينه والتعاليم الإلزامية التي جعلها لعبيده.

ومعرفة هذه التعاليم تتم عن طريق العلماء ذوي الاختصاص الديني الفقهي الذين يعرفون بالمجتهدين.

ولابد فيهم من التدين والورع، بحيث يؤمن منهم التلاعب بالدين تأثراً بالعوامل ـ المادية والمعنوية ـ الخارجة عنه.

□ السؤال الخامس:
مع أخذ بحوث الخلايا الجذعية كأنموذج، ما هو المنطق الذي يحكم الفقيه الشيعي في التعاطي مع المسألة؟ وما هي القيم الأخلاقية التي تحكم ذلك المنطق؟

الجواب:

مما سبق يظهر أن المنطق الذي يحكم الفقيه الشرعي في التعاطي مع هذه المسألة هو منطق النص الديني من الكتاب المجيد وسنة النبي وأهل بيته الكرام (صلوات الله عليهم أجمعين). وعلى النص المذكور يكون المعول في تحديد القيم الأخلاقية التي تراعى في هذا المجال. ومنها ما أشرنا إليه في الجواب من احترام الجنين الذي هو مبدأ تكوين الإنسان، ولزوم الحفاظ

عليه.

وإن من أهم دوافع التشريع الإلهي هو الحفاظ على القيم الأخلاقية وتنظيمها والموازنة بينها بالوجه الأكمل الذي لا يحيط به إلا الله عز وجل. أما إدراك الإنسان فهو محدود. وقد يركز على جهة تأخذ موقعها من نفسه ويغفل عن أشياء كثيرة ينتهي إهمالها بكوارث على المجتمع البشري.

وإن من أهم ما يعنى به التشريع الإسلامي هو بناء الأسرة ثم المجتمع الإنساني، وتقوية الروابط بين أفرادها، وإحكام العلاقة بين الأفراد على ضوء القيم الإنسانية، والمحفزات الأخلاقية الفاضلة.

□ السؤال السادس:
كيف يحصل الفقيه الشيعي على المعلومات التي تخص الموضوع؟ وهل يكتفي ببيان السائل؟ وهل يجب عليه متابعة كل ما يستجد؟ أم يكتفي بالمراجعة الآنية للموضوع لدى طرح السؤال؟

الجواب:

على السائل تحديد الموضوع الذي يسأل عنه، ويكون جواب الفقيه على ضوء حدود السؤال. ومتى تغيرت الحدود تعين توجيه سؤال آخر، ولا يرجع لجواب السؤال الأول.

ولا يجب على الفقيه متابعة ما يستجد إلا إذا سئل عنه. نعم قد يتفرغ لبحث أحكام بعض المستجدات من دون أن يسأل عنها، من أجل أن يجيب عن حكمها لو سئل عنه، أو لإلفات نظر الناس لموقف الدين منها.

□ السؤال السابع:
هل يستشير العالم الشيعي زملاءه في الاختصاص؟ وما طريقة تلك الاستشارة؟

الجواب:

جهد العالم الشيعي ينصب أولاً على تحديد الضوابط التي يجري عليها في اختياراته الفقهية في مجالات الحياة المختلفة.

وذلك في رحلة شاقة طويلة الأمد تستغرق سنين كثيرة بين التراث القديم والجديد، والمقارنة بين النظريات الكثيرة. كما هو الحال في سائر ذوي الاختصاص في مختلف جهات المعرفة.

وبعد الخروج بالمحصلة التي يراها مبررة لفتاواه، ومعذرة بين يدي الله عز وجل لو سأله عنها وحاسبه عليها، يكون صدور الفتوى منه على الأسئلة المختلفة في ضوء المحصلة المذكورة ميسوراً له.

وليس الجواب في القضية المستجدة مرتجلاً من دون إعداد سابق، ليحتاج إلى السؤال بين الآخرين والاستعانة بآرائهم.

□ السؤال الثامن:
كيف يتعاطى الفقيه الشيعي مع فقدان النص الصريح المتعلق بالمسألة

من القرآن والسنة؟

الجواب:

هناك ضوابط شرعية في ضوء الكتاب والسنة عليها المعول عند فقد النص الصريح، يتم للفقيه تعيينها في رحلة تحديد الضوابط التي ذكرناها في جواب السؤال السابع.

□ السؤال التاسع:
كيف يعالج الفقيه الشيعي تزاحم الموارد من حيث القيم الأخلاقية، مثل ما لو توقف إنقاذ مريض على فقد الجنين لحياته؟

الجواب:

للتزاحم ضوابطه الخاصة تدخل ضمن رحلة تحديد الضوابط التي ذكرناها في جواب السؤال السابع.

ومن أهم هذه الضوابط أن المستحب لا يزاحم الحرام، وأن التكامل في جميع جوانب الحياة وإن كان حسناً، إلا أنه لا يسوّغ سلوك الطرق المحرمة، ولا انتهاك حرمة الآخرين والتعدي عليهم.

وقد سبق في جواب السؤال الخامس أن تحديد القيم الأخلاقية، والموازنة بينها، تخضع للنص الشرعي.

بقي في المقام أمران:

الأول: أن الفقيه مهما بذل جهده فهو بشر قد يخطئ في الوصول من طريق النصوص لموقف الدين من القضايا المطروحة.

غاية الأمر أنه يكون معذوراً عند الله تعالى إذا بذل جهده. كما يكون السائل معذوراً عنده تعالى إذا رجع إلى الفقيه المذكور وفق ضوابط التقليد المعروفة. وقد أشرنا لبعضها في جواب السؤال الرابع.

الثاني: أن الفقهاء قد يختلفون في فهم النص، وفي الضوابط التي يجرون عليها في اختياراتهم الفقهية. بل قد يختلف موقف الفقيه الواحد في المسألة الواحدة، ويتضح له خطأ موقفه السابق، كما هو الحال في جميع أهل الاختصاص في مختلف جهات المعرفة.

ولا يؤمن الخطأ والاختلاف إلا على المعصومين، وهم الأئمة (صلوات الله عليهم) الذين حرمت البشرية من كثير من بركاتهم نتيجة تقصيرها في أداء وظيفتها الدينية. والحديث في ذلك طويل لا تسعه هذه العجالة.

هذا ما تيسر لنا من الجواب على أسئلتك. ونسأل الله سبحانه وتعالى أن يمنّ عليك بالتوفيق والتسديد في تحقيق الحقائق وتعريف الآخرين بها، وأن يبارك في جهدك، ويتقبل عملك، ويحقق أملك، وينفع بك.

إنه أرحم الراحمين وولي المؤمنين. وهو حسبنا ونعم الوكيل.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ■

العالم الرباني

آية اللّه السيد محمد علي الطباطبائي الحكيم قدس سره

في سطور . .

ولادته ونشأته

هو السيّد محمد علي بن السيّد أحمد بن السيّد محسن الحكيم، ولد في جمادى الأولى عام ١٣٢٩هـ في بيئة أبرز سماتها الورع والتقوى، تحت ظل والده العلامة الجليل السيد أحمد رحمه الله، حيث التقى والورع والعلم والزهد، فنبت في تلك الرياض النضرة نبتة صالحة، سار من خلالها في طريق المعارف الدينية، حتى أصبح ـ بعد حين ـ شجرة باسقة، (تؤتي أُكُلَها كل حين بإذن ربها).

كانت أسرته الخاصة التي نشأ في بيئتها تضم والده، ذلك الشيخ المتعب الكبير، المبتلى بأمراض عديدة، لكنه مع ذلك كان يسقيه من معارفه، ويفيض عليه من أخلاقه، ويغدق عليه بعطفه، كما تضم أخواله الثلاثة الأعلام، وهم: آية الله العلامة السيد محمود الحكيم قدس سره، وآية الله السيد هاشم الحكيم قدس سره، وأشهرهم وأبرزهم وأكثرهم صلةً به هو آية الله العظمى السيد المحسن الحكيم (تغمده الله برحمته). فكانت نشأته الأولى بين هؤلاء الأعلام، يستفيد من تجاربهم، ويستقي من علومهم، ويتلقى منهم ما يَستَحسِنونه من غذاء روحي له ولأقرانه.

دراسته العلمية

لم يكن سيدنا مختلفاً عن سائر أقرانه في الدخول إلى الكتاتيب (الملالي)، ليتعلّم هناك القراءة والكتابة حيث كان مألوفاً لدى الجميع، لكن سيّدنا لم يدُم هناك أكثر من شهر، لعدم استفادته منهم، فانتقل إلى التعلّم في البيت، حيث أصبح المعلّم الأوّل له أبوه الجليل السيد أحمد قدس سره، فكان يُقْرِئه القرآن الكريم، مع تركيزه على القراءة الصحيحة والاهتمام بالوقف والإدغام وغيرهما. وما أن أتمّ ختم القرآن الكريم ـ وهو بعد لم يتجاوز التاسعة من عمره ـ حتى ابتدأ بدراسة الكتب الحوزوية.

درس عند خاله آية الله السيد هاشم الحكيم قدس سره الأجرومية وقطر الندى وشرح ابن الناظم على الألفية، وشارك السيد يوسف الحكيم قدس سره بدرس كتاب الحاشية لملا عبد الله في المنطق عند المرحوم السيد الحكيم قدس سره، وأتمّ الحاشية وتمام الشمسية عند آية الله الشيخ محمد تقي آل الشيخ راضي قدس سره، كما درس معالم الدين عند آية الله الشيخ محمد رضا المظفر رحمه الله. ثم إنه درس الكفاية عند مجموعة من أهل العلم.

أما الرسائل فكان أستاذه فيها المرحوم آية الله السيد ميرزا حسن البجنوردي رحمه الله، وكان سيدنا المترجم على علاقة وطيدة به، كما درس عنده قسماً من المنظومة للسبزواري، وحضر المكاسب عند آية الله الشيخ عبد الحسين الحلّي رحمه الله.

ثم إنه ابتدأ بحضور الخارج في الأصول عند آية الله العظمى الشيخ محمد حسين الأصفهاني قدس سره في دورته الأخيرة، كما حضر درس المرحوم آية الله العظمى الشيخ أغا ضياء العراقي قدس سره في الأصول، كما أنه حضر البحث الخارج في الأصول عند آية الله الشيخ حسين الحلّي قدس سره في دورته الأولى.

أما الخارج في الفقه فلم يحضر إلا عند السيد الحكيم قدس سره. كما حضر عند السيد الحكيم قدس سره البحث الخارج على المكاسب، والذي كانت حصيلته فيما بعد كتابه المعروف بـ(نهج الفقاهة).

تدريسه واهتمامه بالعلم

اهتم المترجم له قدس سره بتدريس المناهج الحوزوية منذ شبابه، فقد قام بتدريس الكتب الحوزوية مرات كثيرة، وخصوصاً المقدّمات، كما أنه درّس الكفاية عدة مرات، كان أولها للشيخ الجليل الشيخ محمد الشيخ راضي رحمه الله، وكان منهجه في تدريسه لتلك الكتب العلمية مختلفاً عما هو المألوف، من توضيح عبارة الكتاب فقط، بل كان يتوسع إلى حدّ قد يصل إلى مستوى البحث الخارج. وقد تتلمذ عليه كثيرون، منهم: ولده المرجع الكبير آية الله العظمى السيد محمد سعيد الحكيم، السيد محمد حسين السيد سعيد الحكيم، الشيخ محمد الشيخ راضي، السيد محمد تقي الحكيم، الشيخ أحمد السماوي، السيد علي السيد حسين مكي العاملي، السيد عز الدين بحر العلوم، الشيخ سلمان اليحفوفي، وغيرهم كثير.

ولم يكتف سيدنا المترجم ـ في شبابه ـ على الدرس والتدريس، بل كان اهتمامه منصبّاً ـ أيضاً ـ على نشر التراث الديني، حيث كان يعيش آنذاك ـ لعدم تيسر الطبع والنشر ـ في زوايا المكتبات الخاصة أو العامة في النجف الأشرف، حيث المخطوطات القديمة التي كانت تعلوها الأتربة في زوايا مهملة.

نشاطه الاجتماعي

بعد ظهور مرجعية الإمام الحكيم قدس سره في ظرف حرج من الجانبين السياسي والاقتصادي، لم يكن بوسع الإمام الحكيم قدس سره أن يتصدى لكل ذلك بمفرده، فكان لسيدنا المترجم صهره السيد محمد علي الحكيم قدس سره الدور الكبير في رفع الكاهل عن السيد الحكيم، وتقضية جميع شؤونه، حتى الاجتماعية منها، فكان أثر ذلك واضحاً بعلاقته قدس سره المتميزة مع عدد من الأسر العلمية، كآل المظفر، وآل القاموسي، وآل الخرسان، وآل الجواهري، وآل

الشيخ راضي، حيث كانت تربطه بهذه الأسرة الأخيرة علائق وثيقة، حيث لا زال رجالهم ونساؤهم يكنّون له كامل الاحترام والمحبة والتبجيل.

سفره إلى الهند وباكستان

كان الإمام الحكيم‌ﷺ كثير الاهتمام بوحدة الكلمة وتوحيد الصف، وكان كثيراً ما يحمل الهم عندما يسمع بنشوب نزاع وخلاف بين العشائر الشيعية، على اختلاف أماكنها وألوانها. لكن هذه المرة صكّ سمعه نشوب مشكلة في الهند كادت تخرق الصف الشيعي إلى نصفين، بين أسرتين علميّتين مهمّتين، أسرتي النواب والعبقاتي، وبعد وقوع الخلاف بين الأسرتين انضم إليهم الطلبة ومن يتعلق بهم، بحيث أصبح الشرخ واضحاً، يصل في بعض الأحيان إلى لعن جماعة لأخرى، ونشر المنشورات التي تحط من قدر هذه أو تلك.

كان اختيار السيد الحكيمﷺ لحل هذه المشكلة هو إرسال وفد من قِبَلِه، وقد ضم الوفد كلاً من سيدنا المترجم والمرحوم الشيخ محمد الرشتي. وكانﷺ موفقاً في اختياره، حيث حُلّت الأزمة بشكل يكاد أن يكون مستغرباً، وبعد تمام الصلح بعث المتخاصمون بوثيقة شكر لسماحة السيد الحكيمﷺ مثمّنين اهتمامه الأبوي، وأنها أول التفاته من المرجعية لهذا الشأن، كما وأثنوا فيها على الجهود الجبارة التي قام بها الوفد، بحيث ذكر أحد القطبين أن هذه المشكلة لو لم يكن السيد الحكيم قد دخل في حلها أو كان الوفد الذي اختاره غير هذا الوفد لما كان لهذه القضية أن تُحل، وذلك لما يتمتع به سيدنا المعظمﷺ والمرحوم الرشتي من حرمة وتقديس لدى المتخاصمين.

اهتمامه التبليغي

كانت سفرة باكستان والهند تجربة حية في المجال التبليغي، حيث وجد في نفسه القدرة على ارتقاء المنبر ووعظ الناس والتأثير فيهم والأخذ بمجامع قلوبهم، فهمّ على العودة إلى باكستان من أجل تبليغ الأحكام، خصوصاً عندما وجد الجهل مستشرياً فيهم إلى حد الضياع والجهل بجملة من الأحكام الضرورية.

وبالفعل، وبعد الاستخارة في الحرم الشريف كانت الآية: (**أجئتنا بالحق أم أنت من اللاعبين**)(الأنبياء:٥٥)، صمَّم على العودة إلى باكستان، فاستقبل هناك استقبالاً حافلاً قلّ نظيره، وبقي معهم مدة ثلاثة أشهر تقريباً، فكان نجاحه هذا معهم نجاحاً مبهراً، حتى أنّ المرحوم الخال الشهيد السيد مهدي الحكيم قال: (إنّ السيد محمد علي الحكيم ناجح في باكستان مائة بالمائة).

وفاته

حانت ساعة القدر وأذن الوقت بالرحيل شاء الله أن تخمد تلك الشعلة الوهاجة التي ظل عطاؤها سنين متطاولة. آن لذلك القلب الكبير أن يغفو ويلحق بعالم الملكوت حيث النعيم الأبدي حل وقت سكون تلك الروح العبقة الطيبة مودعة عالمنا بكل اطمئنان لتعود لبارئها ـ إن شاء الله ـ راضية مرضية.

في ليلة الثاني والعشرين من ربيع الأول وعند صلاة المغرب يسلم سيدنا نفسه ليرتحل إلى ربه وبكل سكينة وهدوء

من اليمين: السيد علي بحر العلوم والشيخ حسي الحلي والسيد المترجم له
تاريخ الصورة ربيع الأول ١٣٧٨ هـ

تنقضي بموته حقبة من الزمن عاشها في النجف الأشرف مائة عام وزاد عليها ثلاثاً وهاهو اليوم يرتحل ليكون مثواه الأخير في رحاب أمير المؤمنين عليه السلام.

كان في مرضه الذي ألمَّ به أخيراً ـ ولم يتجاوز الأسبوعين ـ مدرسة تستعرض ما تلوناه سابقاً وبكل تفاصيله لكن بزمن متسارع. عابد ذاكر لا يفتر عن الذكر يهتم بالصلاة ويسأل عنها كل حين متوكلاً على الله حامداً شاكراً.

في تلك الساعات كانت حافظته ولياقته الطبيعية واهتمامه العلمي وتفقده للآخرين وفيها يسأل أحفاده الشباب عن دروسهم.

وكذلك تبقى طبيعته من قضاء مآدبه ـ ما أمكنه ـ بنفسه فيمسك القدح بيديه المرتعشتين ويأخذ الملح قبل الطعام ويقرأ الفاتحة ويعطي الصدقة.

ومع كل هذا كان يقول: (أنا أشعر أنني في بداية النهاية) كان كلامه هذا بالنسبة لنا لافتاً إذ ليس هناك ما يقلق لكن الذي يبدو أنه قدس سره كان ينظر بنور الله.

في صباح يوم السبت شيع تشييعاً كبيراً في كربلاء المقدسة، وفي يوم الأحد خرج التشييع من مسجد الشاكري متجهاً إلى الحرم العلوي الطاهر بتشييع مهيب حضره عدد كبير من الشخصيات الدينية والسياسية وقد أمَّ المصلين عليه سيدنا المرجع الكبير آية الله العظمى السيد محمد سعيد الحكيم (أطال الله في عمره)، وبعد التوديع الأخير للحرم الطاهر حمل النعش إلى مقره الأخير في مقبرة علماء الأسرة في مسجد الهندي، هذا وقد عطلت الحوزة العلمية دروسها ليوم واحد وأقيمت له عشرات الفواتح في مختلف البلدان.

رحم الله سلفنا الصالح ورفع درجاته وأسكنه فسيح جناته وألحقه بأوليائه الطاهرين محمد وآله الطيبين ■

منتقى من كتاب (حياة العالم الرباني)

قصيدة:

(الآية الكبرى)

السيد محمد علي الحكيم

أ.د. محمد حسين علي الصغير •

التوأمان تجلدي وجناني ... سكبا عليّ مرارة الأحزان
ودلفت في ليلٍ تموج أفقه ... بالهم والحسراتِ والأشجان
ونهضت عن صبحٍ تبلج عن فمٍ ... متلجلجٍ في المنطقِ المزدان
وأنا الصبور المستفيض لسانه ... بالحمدِ في النكبات والغليانِ
لكن صككت بنكبة الدهر التي ... أودت بأمثل عالمٍ رباني
خمسون عاماً قد حييت بظله ... متفيئاً بسلوكه الروحاني
بعرائش الإيمانِ يشمخ فوقها ... تاج الشريعة.. أشرف التيجانِ
وجهاد نفسٍ تستطيل على الأذى ... لتعود.. وهي حليفةُ اطمئنانِ
وثبات قلبٍ.. في الصروفِ كريهةً ... متدرعٍ بالصبر والإذعان
آه على تلك الليالي مرةً ... طويت.. بأحلى حقبةٍ وزمان
وقعٌ على قلبي.. يواكب نبضهُ ... بالاضطراب.. وسرعة الخفقان

* * * * *

يا حجة الإسلام.. بل يا قمة الـ ... ـعرفانِ.. بل يا نفحة الرحمان

يـا آيـة الـلـه الـتـي قـد ضمنت ... روح الـهـدى.. وعـوالـم الإيـمـان
يـا حكمة الأجـيـال فـي مستودعٍ ... سامي الـذرى.. عـارٍ عن النقصانِ
يـا أيـهـا الـرجـل الـمـعـادل أمـةً ... بـالـوعـي والـتـبـلـيـغ يعـتـنـقـانِ
صـنـت الـعـقـيـدة مـن ريـاح فجةٍ ... عصفت بـهـذا الـصـرح كالطوفان
وحملت أهـداف الشريعة حرة ... كالشمس لا تخبو مـن اللمعان
وشـهـرتـهـا سـيـفـاً رهـيـفـا حـدهُ ... فـي وجـه كـل مـفـرقٍ وجـبـانِ
وحدبت تصنع أي جيل صامد!! ... رغـم العمى واللـف والـدوران!!
لله أنـت.. فكم أقـمـت دلائـلا! ... ـ وسـط المحجة ـ غضة البرهانِ
تـسـتـلـهـم الـفـرقـان فـي آيـاتـهِ ... وتـفـسـر الـقـرآن بـالـقـرآن
كم دورةٍ لك في (الكفاية) يسرت ... (عـلـم الأصـول) بصوتك الـرنـان
نـور عـلـى نـورٍ يضمك ضـوؤه ... والـصـرح تحرسه.. وأنـت الباني
ولـقـد يـعـزُّ عـلـى الـهـداة بأنها ... قـد شـيـعـت ركـنـاً مـن الأركـان
وإذا بـزغـت.. وقـد أفلت مودعاً ... فـالـبـدر يـعـرف سـاعـة الغيبان

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

لهفي عليك أبا (السعيدِ) بأن أرى ... من بعد يومك وحشة (الملوانِ)
من للمحافلِ والمجالس والنهى ... ولـمـن تـكـون صـدارة الـديـوان
قـد كـنـت فينا واحـداً مـا بيننا ... ولـك المهابة فـي عظيم الـشـانِ
خلق أرق مـن الـصـبـا.. وصـلابـةٌ ... فـي الحق لا تخشى مـن الميلانِ
وطـلاقـةٌ مـمـزوجـةٌ بـرصـانـةٍ ... كسبيكة الإبـريـزِ فـي الإتـقـانِ
وأصـالـةٌ فـي دقّـةٍ حكميةٍ ... كالفجر منتشراً على الأكـوانِ
وعـقـيـدةٌ مـا زلـزلـت أقـدامـهـا ... بـثـبـاتـهـا مـن سـالـف الأزمـانِ
كنت الـمـوجـه والمثقف جيلها ... والـمـجـتـبى بـهـدايـة الـحـيـرانِ
عمرت قـرنـاً، أو يـزيـدُ.. فما ونى ... مـتـنٌ.. ولا استعصى بليغُ بيانِ
نـصـحـاً وإرشـادا وروحـانـيـةً ... وتـفـقـهـاً بـحـضـارةِ الأديـانِ

وأبـــوةً تحيي الـنـفـوس بنظرةٍ قـدسـيـةٍ لـبـعـيـدهـا والـدانـي
قـد صاغك الإيـمـان عـقـداً يعتلي جيد الـحـيـاة.. بـجـوهـرٍ وجـمـانِ
تبقى.. ويفنى الـسـادرون بغيهم (والـذكـر لـلإنـسـانِ عـمـر ثـانـي)
أزعـيـم هـذا البيت فـي أمـجـادهِ إن الـزعـامـة مـنـحـة الـمـنـانِ
كنت الـقـلادة بينهم.. وهُـمُ هُـمُ عَـقـل الـشـيـوخ، وعـزمـة الشبانِ
ذهبت دماؤهـم جـبـاراً.. وانجلوا فـي صفحةِ الـتـاريـخ كالعنوانِ
مـا كـافـحـوا للحكم فـي أوهـامـهِ بـل كـافـحـوا لـسـيـادة الإنـسـانِ
لـمـحـمـدٍ، وكـتـابـهِ، ولـديـنـهِ ونـظـامـهِ.. ولمحكم الـفـرقـانِ
للشعبِ فـي آلامـهِ وشـجـونـهِ.. لشعائر الإسـلام فـي الأوطـانِ
سكنوا الجنانَ.. وخلفوها محنةً سـوداءَ لافـحـة مـن الـنـيـرانِ
تسنموا أوج الـكـرامـة.. وانـزوى الـطـغـيـان بـيـن مـذلـةٍ وهـوانِ
وتـداول الأيـام بـيـن أنـاسـهـا نـطـق الـكـتـاب بـهـا كـحـد سـنـانِ
وكـذلـك الإنـسـان فـي أنـفـاسـهِ مـعـدودةً مـن عـالـم الإمـكـانِ
(دقـات قـلـبِ الـمـرء قـائـلـةٌ لـه: إن الـحـيـاةَ دقـائـقٌ وثـوانـي)

* * * * *

بـيـت يـئـنُّ مـن الـشـكـاة.. وأمـةٌ بـالـويـل داعـيـةٌ وبـالـحـرمـانِ
والمسجد المحزون جللهُ الأسى أسـفـاً عليك.. وأثـكـلَ الحرمانِ
وحليفك النجف الأغـر بـزفـرةٍ والـقـبـلـتـانِ عـلـيـكَ تنتحبانِ
أولست أنت الضارعُ البكاءُ في الـ ـمحرابِ.. والخلوات.. والإعـلانِ
آثـرت مـدرجـة الـخـلـودِ كريمةً وعـزفـت عـن هـذا الـوجـود الفاني
وتـركـتـنـا.. والـحـزن مـلء قلوبنا والـعـيـنُ بـاكـيـةٌ بـأحـمـر قاني
عم المصاب بك الجموع.. وهكذا الـ ـضـدانِ فـي الأحـداثِ يجتمعانِ
وتـسـاويـا بـك فـالـعـدوُّ الشاني بمشاعرٍ مثل الـصـديـقِ الحاني
وتـحـلـقـوا زمـراً عليك فـواجـم في الفكر.. أو صعقٌ على الجثمانِ

حفُّوا بنعشِك، والجلال يحوطهُ (فكأنما في نعشِكَ القمرانِ)
إن شيعوكَ فهم بذلك شيعوا أو ودّعوكَ.. فكيف تلتقيانِ
الجنةُ الفيحاء.. موعدك الذي يلقاك في حورٍ، وفي ولدانِ
ومنازلٍ في الخلدِ مهدَ عرشها (رضوان) فيما قدم (الملكانِ)
بين النبي وآله ورجالهِ وهدى (أبي ذرّ)، وفي (سلمانِ)

❋ ❋ ❋ ❋ ❋

أسفي على الدينِ العظيم.. ودونهُ في المجد ما أبقى لنا الهرمانِ
والمصحف الخلاقُ في آياتهِ يشكو من التضييعِ والهجرانِ
وبضاعةُ الإسلام في أسواقنا عادت تنوء بصفقة الخسرانِ
هذا العقوق من البنينِ.. لأنهم هدموا قواعدهُ من البنيانِ
وعلوم آل محمد وتراثهم في حاجة لقيادة الميدانِ
ذهبت موازين النهى.. وتحكمت لغة الهوى والزور والبهتانِ
وإذا المقاييس افتقدن.. فعندها أسر الجريح، وقتله سيانِ
دال الزمانُ.. وغيرت أوضاعهُ والدهر لا ينفك بالدورانِ
والجاهلية يستعيد كيانها عبث الطغاة، وشهوة السلطانِ
لابد من فجر تطاول ليلهُ وجرت صواهلهُ بغير عنانِ
ولسوف تصفو الأرض من أرجاسها ولسوف تقطع غدّة السرطانِ
بالقائم المهدي.. في أنصارهِ ودعاتهِ وطلائع الفتيانِ

❋ ❋ ❋ ❋ ❋

لولا وجود أبي (رياضٍ) و (الرضا) علم الهداة السيد السيستاني
لولاهما.. خبتِ الشريعة وانطوى علمُ (الرياضِ)، وقاطع (البرهانِ)
فهما إماما أمةٍ.. بقيامهم وقعودهم.. وأمامك (الحسنانِ)
نشرا (المفيد) بعلمه و (المرتضى) وتتبعا (الطوسي) في (التبيان)
ومن (الصدوق) فقيهه وحضورهُ ومن (الكليني) جوهر العقيان

و(شـرائـعٍ) ممزوجةٍ بـ(رواشـحٍ) للناهلين بـ(زبـدةٍ) و(بـيـانِ)
ووسـائـلٍ وجـواهـرٍ ورسـائـل ومـكـاسـبٍ وحـدائـقٍ ومـغـانـي
وبـقـيـة الـفـقـهـاءِ فـيـمـا قـدمـوا لـلـنـاس مـن عـلـمٍ ومـن عـرفـانِ
وخـلاصـةُ العلماء فيما أسلفوا وخـلاصـةُ الـعـظـمـاء والأعـيـانِ
ومـراجـع الإسـلام.. بين رجاحةٍ عـقـلاً.. وبين الثقلِ فـي الميزانِ

* * * * *

يـا أسـرة الـمـجـدِ الأثـيـل تقدمي فالقطف من (نهج الفقاهةِ) داني
وتمسكي لله فـي (مستمسكٍ) لـلـعـروة الـوثـقـى بـغـيـر مـدانـي
و(المحكم) العملاق في تقريرهِ وأشـعـةُ (المصباحِ) في الـوجـدانِ
وبـهـدي سـيـدنـا الفقيد وفـكـرهِ درسـاً وتـدريـسـاً بـغـيـر تـوانـي
لـكـم الـعـزاء ولـلـمـلا بمصيبةٍ دهـيـاء.. قـد ثقلت على الآذانِ
وإلـى جموعِ المسلمين.. قصيدةٌ نظمت فرائدها يـدا (سـحـبـانِ) ■

في الذاكرة ..

شهر رجب المرجب

١ ولادة الإمام محمد الباقر عليه السلام سنة ٥٧ هـ، في المدينة المنورة.

٢ ولادة الامام علي الهادي عليه السلام سنة ٢١٤ هـ (على رواية) في المدينة المنورة.

٣ استشهاد الامام علي الهادي عليه السلام سنة ٢٥٤هـ مسموما على يد المعتمد العباسي.

٥ استشهاد النحوي الإمامي ابن السكيت على يد المتوكل العباسي.

٨ ولادة الحر العاملي قدس سره سنة ١٠٣٣ هـ. صاحب كتاب وسائل الشيعة.

٩ هلاك المأمون العباسي سنة ٢١٨ هـ.

١٠ ولادة الإمام محمد الجواد عليه السلام سنة ١٩٥هـ، في المدينة المنورة.

١٢ دخول الامام أمير المؤمنين عليه السلام الكوفة بعد حرب الجمل واتخاذها عاصمة له سنة ٣٦ هـ.

١٢ هلاك معاوية بن أبي سفيان سنة ٦٠ هـ.

١٣ ولادة إمام المتقين وسيد الموحدين أمير المؤمنين الامام علي بن أبي طالب عليه السلام في داخل الكعبة المشرفة قبل البعثة بعشر سنين.

١٥ وفاة عقيلة الطالبيين السيدة زينب بنت الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهما السلام سنة ٦٢ هـ.

١٥ تحويل القبلة من بيت المقدس إلى البيت الحرام سنة ٢ هـ .

١٦ خروج فاطمة بنت أسد من داخل الكعبة المشرفة تحمل وليدها الامام علي عليه السلام.

١٨ وفاة إبراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وآله سنة ١٠ هـ ، وله من العمر سنة وعشرة أشهر .

١٨ هلاك المعتمد العباسي سنة ٢٧٩ هـ .

٢٠ وفاة الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز سنة ١٠١ هـ .

٢٢ وفاة الشيخ جعفر الكبير قدس سره صاحب كتاب كشف الغطاء سنة ١٢٢٧ هـ .

٢٣ طعن الإمام الحسن المجتبى عليه السلام على يد الجراح بن سنان في المدائن سنة ٤١ هـ .

٢٤ فتح خيبر على يد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام سنة ٧ هـ .

٢٤ رجوع جعفر بن أبي طالب عليه السلام من الحبشة سنة ٧هـ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «والله ما أدري بأيهما أنا أشد سروراً، بقدوم جعفر أم بفتح خيبر».

٢٥ استشهاد الامام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام في السجن سنة ١٨٣هـ ببغداد على يد هارون العباسي.

٢٦ وفاة أبي طالب عليه السلام عم النبي صلى الله عليه وآله وحاميه وناصره سنة ١٠ من البعثة المباركة.

٢٧ البعثة النبوية الشريفة وبدء نزول الوحي على رسول الله محمد صلى الله عليه وآله وعمره ٤٠ سنة .

٢٨ خروج الامام الحسين عليه السلام من المدينة إلى مكة ومنها إلى العراق سنة ٦٠ هـ .

شهر شعبان المعظم

١ وفاة شيخ الفقهاء محمد حسن النجفي صاحب الجواهر قدس سره سنة ١٢٦٦هـ.

٢ خروج النبي صلى الله عليه وآله لغزو بني المصطلق سنة ٥ هـ.

٣ ولادة سيد شباب أهل الجنة الحسين عليه السلام سنة ٤ هـ.

٤ ولادة أبي الفضل العباس بن علي عليهما السلام سنة ٢٤ هـ.

٥ ولادة الإمام علي بن الحسين عليهما السلام سنة ٣٨ هـ.

١١ ولادة علي الأكبر بن الحسين عليهما السلام سنة ٣٣ هـ.

١٥ مولد منقذ البشرية صاحب الزمان الإمام المنتظر (عجل الله تعالى فرجه الشريف) سنة ٢٥٥هـ.

٢٠ وفاة سلطان الواعظين السيد محمد الموسوي الشيرازي قدس سره صاحب كتاب (ليالي بيشاور) سنة ١٣٩١ هـ.

٢٢ وفاة الشيخ محمد جواد البلاغي قدس سره صاحب كتاب (آلاء الرحمن في تفسير القرآن) سنة ١٣٥٢هـ.

٢٣ وفاة الفقيه المجاهد الميرزا محمد حسن الشيرازي قدس سره سنة ١٣١٢ هـ.

* * * * * * *

وقفة مع الذكرى..

ولادة
الإمام محمد بن علي الباقر عليهما السلام
سنة ٥٧ هـ

ولد الإمام محمد الباقر عليه السلام يوم الجمعة غرة رجب من سنة ٥٧ من الهجرة، فهو هاشمي من هاشميين، وعلوي من علويين، وفاطمي من فاطميين، وأول من اجتمعت له ولادة الحسن والحسين عليهما السلام.

لقب بالباقر لتبقره في العلم، وتبحره فيه. وفي لسان العرب : لقب به لأنه بقر العلم، وعرف أصله، واستنبط فرعه، وتوسع فيه، والتبقر التوسع. أشار على عبد الملك بن مروان بضرب الدنانير والدراهم وعلمه كيفية ذلك في حياة أبيه الإمام السجاد عليه السلام وحرر بذلك المسلمين اقتصادياً.

حكام وجبابرة عصره: الوليد بن عبد الملك، سليمان بن عبد الملك، عمر بن عبد العزيز (كان ألينهم عريكة، وأعدلهم حكماً) يزيد بن عبد الملك، وآخرهم هشام بن عبد الملك وكان أشدهم على أهل البيت والأئمة الطاهرين عليهم السلام حقداً، وهو الذي دسّ إليه السم واستشهد الإمام عليه السلام من جرائه.

شهادته يوم الاثنين السابع من شهر ذي الحجة الحرام سنة ٤١١ هجرية، وكان عمره الشريف سبع وخمسون سنة.

مدة إمامته: (١٩) تسع عشرة سنة.

قبره: دفن في البقيع في المدينة المنورة في القبة التي فيها أبوه الإمام زين العابدين وعم أبيه الإمام الحسن المجتبى (عليهم السلام) والعباس بن عبد المطلب.

هدم آل سعود الوهابيون قبره وقبور الأئمة عليهم السلام في البقيع في الثامن من شوال سنة ١٣٤٤ من الهجرة، عندما استولوا على الحكم، كما هدمت مراقد جميع عظماء المسلمين، والمشاهد المشرفة في بدر وأحد، لاسيما قبر سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب وبقية قبور شهداء أحد ■

* * * * * * *

يعقوب بن إسحاق
(ابن السكيت)

سمي بـ(ابن السكيت) لأنه كان كثير السكوت. طويل الصمت.

أجمع النحاة أنه لم يكن بعد (ابن الأعرابي) أعلم باللغة من (ابن السكيت).

وقال (أبو العباس المبرد): ما رأيت للبغداديين كتابا أحسن من كتاب ابن السكيت في المنطق.

ألزم (المتوكل العباسي) (ابن السكيت) تأديب ولده (المعز بالله)، فقيل فلما جلس عنده قال له: بأي شئ يحب الأمير أن نبدأ؟ يريد من العلوم. فقال (المعز): بالانصراف. قال (ابن السكيت): فأقوم. قال (المعز): فأنا أخف نهوضا منك. فقام واستعجل فعثر بسراويله فسقط. والتفت إلى (ابن السكيت) خجلا وقد أحمر وجهه. فأنشد (ابن السكيت):

يصاب الفتى من عثرة بلسانه
وليس يصاب المرء من عثرة الرجل
فعثرته في القول تذهب رأسه
وعثرته بالرجل تبرأ على مهل

دخل المعز والمؤيد على أبيهما المتوكل وكان (ابن السكيت) جالساً، وقد علم بتشيعه وموالاته لأهل البيت عليهم السلام فقال (المتوكل): يا يعقوب أيما أحب إليك ابناي هذان أم (الحسن والحسين)؟ فغض (ابن السكيت) من ابنيه وذكر (الحسن والحسين) صلوات الله عليهما بما هما أهله، فقال: (والله إن قنبراً خادم الحسن والحسين صلوات الله عليهما خير منك ومن ابنيك).

فقال (المتوكل): سلوا لسانه من قفاه، ففعلوا ذلك به فمات قدس الله نفسه وعمره ثمانية وخمسون سنة، وذلك في ٥ رجب من عام ٢٤٤ هـ.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «أفضل الجهاد كلمة حق عند أمير جائر»، نعم هذا شأن رجال الله المخلصين الذين بذلوا مهجهم ودماءهم في سبيل الله، وإعلاء كلمته العليا عند سماعهم هذه الأباطيل الدالة على نصب قائلها. وهذا الموقف الشريف من (ابن السكيت) عين الموقف الذي وقفه رجالات المبدأ والعقيدة أمام طواغيت الظلم والجور من أمثال. (حجر بن عدي، وميثم ألتمار، ورشيد الهجري، وعمر بن حمق الخزاعي وأضرابهم) رضوان الله عليهم، لأن هذه المواقف من هؤلاء الأبطال والأوتاد هي التي رسخت قواعد مبدأ الحق وعمقته، وكانت سبباً في انتشاره واستمراره إلى يومنا هذا ■

تحويل القبلة ١٥ رجب ٢هـ

كان رسول الله ﷺ يصلي إلى بيت المقدس مدة مقامه بمكة وفي هجرته، فعيرته اليهود وقالوا له: أنت تابع لنا تصلي إلى قبلتنا، ونحن أقدم منك في الصلاة. فاغتم رسول الله صلى الله عليه وآله من ذلك، وأحب أن يحول الله قبلته إلى الكعبة، فخرج في جوف الليل ونظر إلى آفاق السماء ينتظر أمر الله، وخرج في ذلك اليوم إلى مسجد بني سالم الذي جمع فيه أول جمعة كانت بالمدينة، وصلى بهم الظهر هناك بركعتين إلى بيت المقدس، وقد صرف إلى الكعبة فتحول النساء مكان الرجال، والرجال مكان النساء، وجعلوا الركعتين الباقيتين إلى الكعبة، فصلوا صلاة واحدة إلى قبلتين، فلذلك سمي مسجدهم مسجد القبلتين، وكان ذلك في ١٥ من شهر رجب في السنة الثانية من الهجرة ونزل عليه: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ (البقرة:١٤٤).

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لما صرف الله نبيه إلى الكعبة عن بيت المقدس قال المسلمون للنبي ﷺ: أرأيت صلاتنا التي كنا نصلي إلى بيت المقدس ما حالنا فيها وحال من مضى من أمواتنا وهم يصلون إلى بيت المقدس. وفي رواية، قال المسلمون: يا رسول الله ذهبت صلاتنا إلى بيت المقدس وطهورنا ضياعاً؟ فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلاَّ عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللهُ وَمَا كَانَ اللهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (البقرة: ١٤٣) فسمى الصلاة والطهور إيمان.

وأما اليهود فقد عابوا على المسلمين رجوعهم عن بيت المقدس إلى الكعبة، وقابلوا ذلك بالسخرية والاستهجان، واستغلّوا ذلك الحدث بدهاءٍ ليمرّروا من خلاله الشكوك والتساؤلات طعناً في الشريعة وتعميةً لحقائقها، وقد حذّر الله سبحانه وتعالى المسلمين وأخبرهم بموقف اليهود قبل وقوعه فقال: ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاء مِنَ النَّاسِ مَا وَلاَّهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُواْ عَلَيْهَا قُل لِّلّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَن يَشَاء إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (البقرة:١٤٢).

وهكذا تحقّق للمسلمين فضل التوجّه إلى القبلتين جميعاً، واستطاعوا أن يجتازوا هذا الامتحان الإلهي، وبذلك نالوا شهادة الله: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ (البقرة:١٤٣) ■

من أعلام كربلاء..

الشيخ محمد تقي الشيرازي الحائري

١٢٥٦ - ١٣٣٨ هـ

سلمان هادي آل طعمة •

ينابيع

يكاد يجمع المؤرخون على أن الشيخ محمد تقي الشيرازي الحائري من كبار مجتهدي الشيعة الإمامية، فهو العقل المدبر والرجل المؤثر في ثورة العشرين، تصدى للأحداث السياسية التي عاصرها ومنها زعامته للثورة العراقية الكبرى في الثلاثين من حزيران سنة (١٣٣٨/١٩٢٠هـ) وتوفي في خضم أحداثها. وإن المدة التي حل فيها، أصبحت كربلاء المقدسة مركزاً للقيادة والإرادة، وبدأت تنافس المدن الكبرى من حيث التوسع في العمران وكثرة السكان واحتواء قادة الفكر والسياسة وعمالقة أهل العلم في العالم الإسلامي في العقود المنصرمة من القرن الماضي، ولعبت دوراً فاعلاً في الحراك

الثقافي والفكري. وقد شهدت نهضة علمية نشطت فيها المعارف والعلوم على اختلاف أنواعها. ومما يحسن إيراده في هذا الصدد أنّ داره كانت منتجعاً لرجال العلم والفضل، وكان يقيم مأتماً للعزاء خلال العشرة الأولى من محرم الحرام يقصده الأشراف وعليّة القوم تناقش فيه الآراء وتقام المناظرات وتطرح الأفكار. لقد عاش الشيخ الحائري الأحداث التي هبّت بوجه الانكليز وناهض الكربلائيون الاستعمار الغاشم في أشد مظاهرة، فكان تاريخه حافلاً بكثير من المواقف الجريئة التي ملأت الآفاق شهرةً واتساعاً، وهو من أباة الضيم، لا يصبر على قذى، وكان صادقاً فيما يقول، عفيفاً، متواضعاً، حافظاً للزمام، ينهل من جوده وعلمه القاصي والداني، وينظر إلى الأمور العرفية والسياسية من شتى نواحيها، آراؤه سديدة ناجحة.

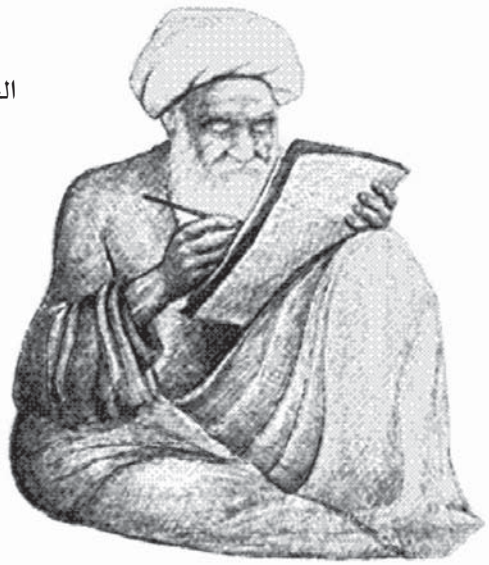

مولده ونشأته

هو الشيخ محمد تقي بن محب علي بن محمد بن علي كلشن الشيرازي الحائري ولد بشيراز سنة (١٢٥٦هـ) ونشأ بها، هاجر إلى كربلاء سنة(١٢٧١هـ) وحضر على العلامة المولى الشيخ حسين الأردكاني، وانتقل إلى سامراء فتتلمذ على آية الله المجدد السيد محمد حسن الشيرازي، فكان من أجلة تلامذته وأصبح فقيهاً مجتهداً تقلّد المرجعية.

آثاره

للإمام الحائري دراسات فقهية تعتبر جزءاً مهماً من الفكر النظري والفقهي لها تأثيرها، باعتبارها مصدراً يسهم في الاطلاع على اجتهاده وما يتخلله من حقائق موضوعية. وهذه الآثار هي:

١ـ حاشية على المكاسب.
٢ـ رسالة في أحكام الخلل.
٣ـ رسالة في صلاة الجمعة.
٤ـ شرح منظومة السيد صدر الدين العاملي في الرضاع.
٥ـ رسالة في الفتاوى المنطقية (١٣٣٨هـ/١٩١٩م).

دوره في قيادة ثورة العشرين

لما احتلت الجيوش البريطانية سامراء، رغب في الرجوع إلى كربلاء، فثارت البلاد بثورتها العارمة ولاسيما جهة الفرات، وكان أول ما اندلع لسان الثورة من كربلاء وذلك لأمرين:

١ـ وجود آية الله الإمام الحائري قطب الوطنية الصادقة.

٢ـ زيارة النصف من شعبان وهي الزيارة المهمة التي يجتمع فيها المسلمون قاطبة بالإضافة إلى القبائل العراقية. ومن مواقفه المشرفة فتواه الأولى عندما أراد الانكليز أن يحمل العراقيين النبلاء المكرهين على انتخاب المندوب السامي(السربرسي كوكس) ممثلهم في العراق أن يكون رئيساً للحكومة العراقية الجديدة وعلم الميرزا الشيرازي ما وراء الأكمه المقرر تنفيذه من الهيئات السياسية البريطانية. ولذلك ظهرت الفتوى.

تأسيس جمعية سرية في كربلاء

بعد الانتهاء من الحرب العالمية الأولى وقيام القوات البريطانية باحتلال العراق، تأسست في كربلاء جمعية سرية هدفها مقاومة الاحتلال البريطاني للعراق والمطالبة باستقلاله وقيام حكومة عربية من أبنائه بإدارة شؤونه، وكان لهذه الجمعية التي سميت(الجمعية الوطنية الإسلامية) دور مهم في تهيئة الرأي العام وحث أبناء الشعب على رفع المدينة إلى هذه الجمعية، وكان أبرز أعضائها كل من:

١ـ الشيخ محمد رضا الحائري ٢ـ الشيخ عبد الحسين الحائري ٣ـ عمر العلوان الوزني ٤ـ عثمان العلوان الوزني ٥ـ محمد علي أبو الحب ٦ـ محمد حسن أبو المحاسن ٧ـ هبة الدين الحسيني الشهرستاني ٨ـ عبد المهدي القنبر ٩ـ طليفح الحسون ١٠ـ السيد عبدالوهاب آل طعمة ١١ـ عبد الكريم آل عواد.

وقد أقامت هذه لجمعية صلات قوية مع جمعية حرس الاستقلال التي تأسست في بغداد، وكان لها دور كبير في بث روح الوطنية والوعي السياسي بين الناس. وبعد انتهاء الاجتماع الذي عقده أبناء المدينة وبعد عدة مناقشات قرّروا تقديم المضبطة التالية إلى حكومة الاستقلال.

نص المضبطة
بسمه تعالى

حسب تبليغ حاكم الحلة لنا عن الدولة المفخمة البريطانية قد تفضلت على العراقيين بطلب انتخاب أمير يختارونه وقد أمرنا أن نجتمع ونتداول الرأي في ذلك ثم تُقدّم النتيجة إلى حاكم كربلاء فتلقينا أمره بتمام الرغبة وقد سبق الوعد المنشور من الدولة المفخمة البريطانية بالاتفاق مع الدولة الفرنسية بالعبارة التالية وهي (إن غرض الحكومة من الحرب في الشرق تحرير الشعوب تحريراً تاماً نهائياً وإنشاء حكومات وإدارات وطنية في سوريا والعراق تقوم بها الشعوب بذاتها من خالص رغبتها) كما نشرته جريدة العرب عدد (١٤٠) الصادرة في (١٥تشرين الثاني ١٩١٧) وقد اجتمعنا نحن أهالي كربلاء امتثالاً لأمركم وبعد مداولة الآراء وملاحظة الأصول الإسلامية وطبقاً لها تقرر رأينا على أن نستظل بظل راية عربية إسلامية فانتخبنا أحد أنجال سيدنا الشريف ليكون ملكاً علينا مقيداً بمجلس منتخب من أهالي العراق لتسنين القواعد الموافقة لروحيات هذه الأمة وما تقتضيه شؤونها.

تحريراً في اليوم الخامس عشر من شهر ربيع الأول سنة ١٣٣٧هـ.

خادم الشريعة	خادم الشريعة
السيد حسين	محمد علي
الطباطبائي	الطباطبائي
كليدار الروضة	كليدار الروضة
الحسينية	العباسية
السيد عبد الحسين	السيد مرتضى

نقيب الأشراف السيد محسن، السيد عباس ضياء الدين، السيد محمد آل ثابت. السيد حسين الردة، السيد عبد الوهاب آل طعمة، السيد مهدي بحر العلوم، السيد محمد علي أبو المعالي، السيد سعيد شروفي، السيد أحمد الوهاب، السيد علي نقي الشهرستاني، السيد جواد السيد يوسف آل طعمة، السيد كمال آل ثابت، السيد علي السيد مهدي البغدادي، السيد عيسى الحسيني، السيد حسن علو، السيد صالح النقيب، السيد إبراهيم الشهرستاني، الحاج راضي الحمزة، محسن العلوان السلامي، علوان الشيخ عباس، سيد عبود آل نصرالله، عبد الحسين آل طعمة رئيس الخدام، الحاج مكاوي، السيد محمود آل زيني، السيد أحمد ضياء الدين، السيد مهدي زيني.

تواقيع المشايخ والوجهاء

رئيس اليسار بحر الشبيب. رئيس بني تميم كاظم الحسين.

عبد الكريم آل عواد، عبد الرضا أبو والده، عليوي الحاج غريب، الحاج وهاب الكلكاوي، محمد الكلكاوي، محمد علي أبو الحب، علي المحمد المنكوشي، طليفح الحسون، عمر الحاج علوان، الحاج حيدر، الحاج قندي، سلمان الشبيب، الحاج علي القنبر، الحاج حسن الشهيب، ظاهر الحاج حبيب، الحاج أبو هر. خضر الحاج عباس، عبد الجليل آل عواد، حسين المحسن العاشور، ملاّ سعيد الوكيل، محمد علي الشيخ سلمان، كاظم أبو ذان.

وتقدم الروحانيون بهذه الفتوى التي كانت الخطوة الأولى التي تقد بها المخلصون إلى ساحة الجهاد وهذا نصه:

(ما يقول شيخنا وملاذنا حضرة حجة الإسلام والمسلمين آية الله في العالمين الشيخ ميرزا محمد تقي الحائري الشيرازي متع الله المسلمين بطول بقائه، في تكليفنا معاشر المسلمين بعد أن منحتنا الدولة المفخمة البريطانية العظمى حق انتخاب أمير لنا نستظل بظله ونعيش تحت رايته ولوائه فهل يجوز لنا انتخاب غير المسلمين للأمارة والسلطة علينا أم يجب اختيار المسلم بيّنوا تؤجروا).

فكتب العلامة الحائري في ذيل الاستفتاء هذا الجواب:

(ليس لأحد من المسلمين أن ينتخب ويختار غير المسلم للأمارة والسلطنة على المسلمين).

محمد تقي الحائري الشيرازي

وقد أرسلت نسخ عديدة من هذه الفتوى إلى عشائر الفرات الأوسط والمدن العراقية فرد كيد الخائنين إلى نحورهم. وعلى أثر انتشار كتاب الشيخ الحائري بدأ أهالي الفرات تنظيم مضابط التوكيل ومقابلة الحاكم العام في بغداد وقد حوت هذه المضبطة على تسعين توقيعاً وحشاها الشيخ الحائري.

وعقد أهالي النجف مثل هذا الاجتماع في (٥حزيران ١٩٢٠) وتم اختيار المندوبين وحين بلغ الشيخ الحائري أمر

هذا الاجتماع واختيار المندوبين الستة كتب إلى هؤلاء رسالة يحثهم ويشجعهم على المطالبة بحقوق البلاد.

وفاته

أخيراً أدرك الأجل شيخنا الحائري في ليلة الثالث من ذي الحجة الحرام سنة(١٣٣٨هـ/١٩٢٠م) وشيع تشييعاً حافلاً من قبل الشعب العراقي لاسيما العلماء الأعلام ورؤساء العشائر الفراتية إلى مثواه الأخير في الروضة الحسينية المقدسة، وأقيم له حفل تأبني كبير شارك فيه الشعراء كان من بينهم الشاعر الوطني محمد حسن أبو المحاسن فألقى قصيدة تقرب من الستين بيتاً مطلعها:

يا غلة الأحشاء غاض المورِدُ
يا أزمة الأيام غاب المنجدُ

أما الشاعر محمد مهدي الجواهري فلم يترك الفرصة تمر إلا ويعرج على(التقي الحائري) فقال من قصيدة:

ودعوة مشهودة
تدعو ليوم يشهدُ
قام بها مقلّدٌ
بعزمه مجتهدُ
محمد ومعجز
مثلك يا محمدُ
ألفحتها شعواء
لا يطاع فيها السيدُ

والشاعر الشيخ علي البازي أشاد بموقف التقي الحائري بقوله:

فطاحل العلم قادت سفن نهضتها
لساحة المجد واحتلت معاليها
ثم استمدت من الشيخ(التقي) لها
نوراً وفيه اهتدت وانقاد عاليها

ورثاه آخرون.

وقد أنجب ثلاثة أولاد فضلاء هم: الشيخ محمد رضا والشيخ عبد الحسين والشيخ محمد حسن اقتفوا سيرة والدهم ■

---

(١) لمحات اجتماعية، د. علي الوردي، ج٥ ص١٠٣.
(٢) أعيان الشيعة، السيد محسن الأمين، ١٢١/٤٤.
(٣) أحسن الوديعة، السيد محمد مهدي الموسوي الكاظمي، ١٧٣/١.
(٤) ثورة العشرين، أرنولد ويلسن، ص١٣٩.
(٥) معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، ١٣٣/٩.
(٦) فؤاد الرضوية، عباس القمي، ص٤٣٨.
(٧) نقباء البشر، الشيخ آغا بزرك الطهراني، ٢٦١/١-٢٦٤.
(٨) كربلاء في التاريخ، السيد عبد الرزاق الوهاب آل طعمة، ص٢٥.
(٩) تراث كربلاء، سلمان هادي آل طعمة ص٢٩١.
(١٠) الأعلام، خير الدين الزركلي، ٦٢/٦.
(١١) ريحانة الأدب، محمد علي التبريزي، ٦٥/٦.
(١٢) كربلاء في ثورة العشرين، سلمان هادي آل طعمة، ص٢٠.
(١٣) ديوان أبي المحاسن الكربلائي، محمد حسن أبو المحاسن، تحقيق الشيخ محمد علي اليعقوبي، ص٤٠.
(١٤) معارف الرجال، محمد حرز الدين، ٢١٥/٢.
(١٥) معجم المؤلفين العراقيين، كوركيس عواد.
(١٦) تاريخ الطباعة والمطبوعات العراقية، بهنام فضيل عفاص، ص٢٠٢.

خطيب الكاظمية..

الشيخ كاظم آل نوح

١٣٠٢ - ١٣٧٩ هـ

د. جمال الدباغ •

ينابيع

تحتل حياة الرجال الذين اثروا في صنع التاريخ مكانة متميزة، حيث تمثل محطة يقف عندها الأجيال ليعرفوا ما قدموا أسلافهم من عطاء مثمر ونتاج أغنى التاريخ بالمواقف الخالدة التي لا زال ذكرها يتجدد مع مرور الزمان.

من هؤلاء الرجال برز خطيب الكاظمية وعميد منبرها الشيخ كاظم آل نوح الذي تميز بين أقرانه ورفاقه بسعة المعلومات وغزارتها إضافة إلى الأدوار التي اضطلع بها في نشر الثقافة الإسلامية في أوساط المجتمع مع التركيز على شريحة الشباب الذي كان يرى فيهم أملاً للأمة في التخلص من ترسبات الماضي وأمنية لمستقبل يسوده العلم والمعرفة.

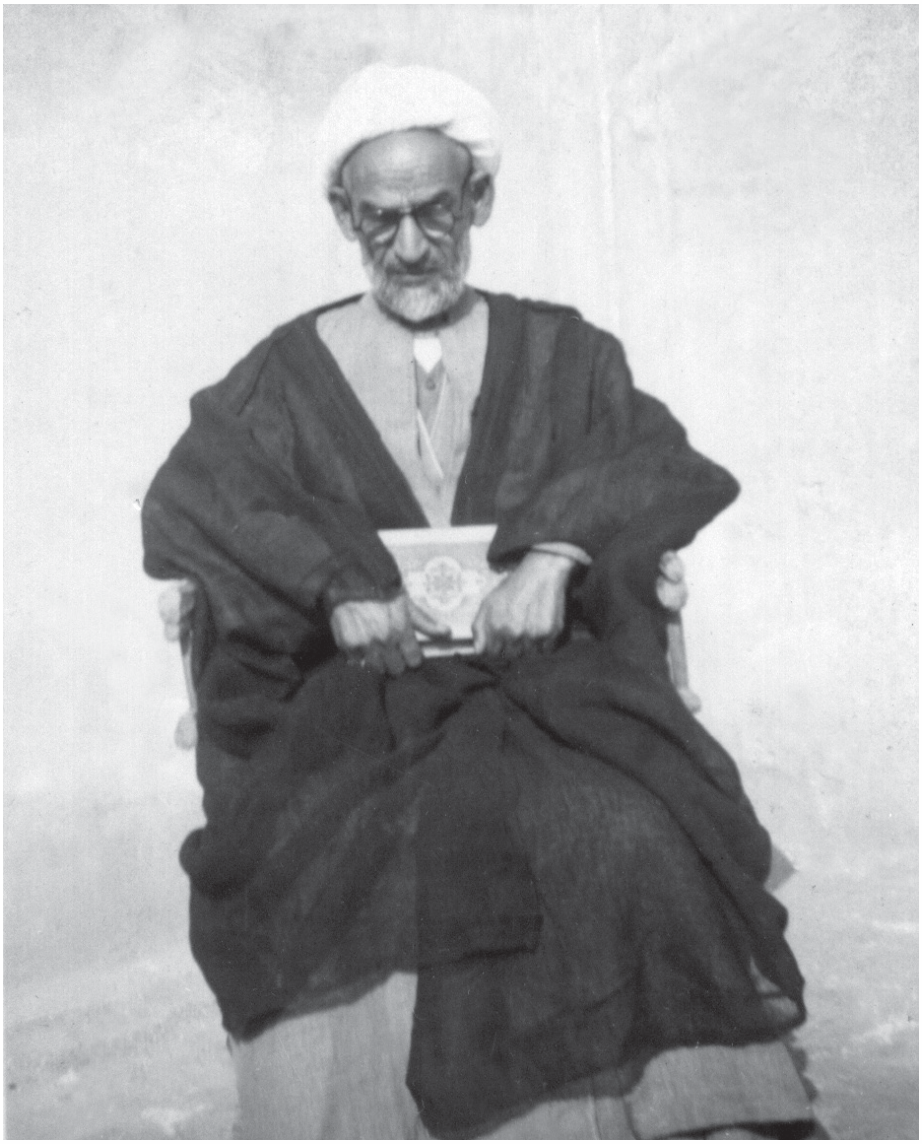

حياته العامة

هو الشـيخ كاظم بن الشيخ سلمان بن الشـيخ داود بن الشيخ سلمان بن نوح (وبه اشتهرت الأسـرة حتى عرفت بـ(آل نوح) بن محمد من آل غريـب الكعبي الكاظمي

وفي أسرته (آل كعب) يقول:

هم الحصن الحصين بيوم خوفٍ
وهـم غيـث إذا طرقـت عفـاة
حِمـى النزال إذا مـا عمَّ خطبٌ
وفـي يـوم النـزال هـم الكماة

بنو كعب وغيرهمُ رعايا
لهم أمسوا وهم أبداً رعاة[1]

وقد هاجر آل نوح من الأهواز حيث موضع أمارتهم إلى العراق واستقرت في الحلة الفيحاء، ثم انتقلت منها إلى الكاظمية على عهد الشيخ سلمان آل نوح المولود في الحلة عام ١٢٦٥هـ والمهاجر منها في منتصف العقد الثاني من عمره ولم يمهله الأجل في الكاظمية طويلاً حيث انتقل إلى رحمة الله وله من العمر ثلاث وأربعين عاماً وذلك سنة ١٣٠٨، وحمل جثمانه إلى النجف ليوارى الثرى بمقبرة وادي السلام ونهج ولده خطيبنا (كاظم) نهج أبيه في خدمة المنبر الحسيني فأجاد وحلق وأبدع وتفوق حتى انحصر في شخصه لقب (خطيب الكاظمية). في مطلع شهر رجب عام ١٣٠٢هـ/١٨٨٥م ولد الشيخ كاظم في الكاظمية بين أب خطيب لامع وأم علوية من السادة آل عطيفة الحسينين ولكنه فقد والده سنة ١٣٠٨هـ وله من العمر ستة أعوام[2]، فنشأ يتيماً وكانت والدته تطمح أن يحل كاظم محل والده ويسلك نهجه في خدمة أهل البيت (عليهم السلام) فبدأ بتعلم الكتابة عند الكتاتيب ثم ما لبث أن ختم القرآن الكريم عند الشيخ محمود الجوخجي وله من العمر ستة سنين ونصف[3].

بعد أكماله الدراسة الأولية التحق بالأساتذة العلماء الأفاضل في الكاظمية حيث تلقى دروس النحو والفقه والعقائد على صفوة منهم[4] :

١ ـ السيد محمد السيد محسن الأمين العاملي.
٢ ـ الشيخ محمد رضا أسد الله.
٣ ـ السيد أحمد الكيشوان.
٤ ـ الشيخ مهدي المراياتي.
٥ ـ السيد محمد السيد محسن الأعرجي.
٦ ـ الشيخ عبد الحسين أسد الله.

وغير هؤلاء حتى نال قسطاً من الفضل واغترف من علوم آل محمد مما أسس به شخصية علمية، وتزود بثروة ثقافية عامة لأداء رسالة المنبر الحسيني على أكمل وجه و أفضل أداء.

خطابته

بالرغم من فقدان خطيبنا لأبيه وهو صغير إلا أنه حرص على السير بسيرة والده الذي كان خطيباً نابغاً من خطباء الحلة ويعد من أوائل الذين ارتجلوا الخطابة على المنبر دون الاستعانة بالكتاب حيث كان الخطباء يقرؤون بكتاب (الروضة)[5]، وكان من تلامذة والده الشاعر الحلي المشهور الشيخ حمادي آل نوح، وسرعان ما برع كاظم في نهج والده والالتزام بطريقته وأسلوبه حيث مارس القراءة على المنبر وهو بعد صغيراً في حياة والده ثم تدرج في سلم المجد المنبري حيث أخذ موقعه المتقدم ومكانه المتميز بين عباقرة المنبر ونوابغ الأدب والخطابة.

ما قيل فيه

١ـ ما قاله السيد هبة الدين الشهرستاني عنه (بحاثة ذائع الشهرة، واسع الخبرة، رفيع المقام في المجتمع العلمي والأدبي، خدم الأمة بعلمه وقلمه، كاتباً وخطيباً ولولا زهده في المدح لكانت الإفاضة في الإشهار بشخصيته الممتازة والأجهار بفضائله الجمة لزاماً علينا)[6].

٢ ـ ما قاله السيد داخل السيد حسن في معجم الخطباء (تحدثت عن خطابته الركبان واشتهر ذكره في البلدان ووصلت شهرته القاصي والداني تتدفق على لسانه الفصاحة والبيان كأنما يخرج من فمه اللؤلؤ والمرجان)[٧].

٣ ـ الشيخ جعفر النقدي وصفه قائلاً: (الفاضل الخطيب والكامل الأديب نادرة العصر مفخرة ذوي الفخر عمدة الأدباء وخطيب العلماء وشيخ الشعراء تاج مفرق أهل الفصاحة والبيان الشيخ كاظم الشيخ سلمان)[٨].

٤ ـ الشيخ عبد الحسين الأميني صاحب كتاب الغدير (لله دره من خطيب مفوّه وناصح نابه وواعظ مدرك ومتكلم قدير وبحاثة فذّ وشاعر مجيد)[٩].

٥ ـ الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء: (جزاك الله عن أخ لك في الله يواليك ويحبك لوجه الله تعالى ويؤسفني بل ويؤلمني أشد الألم أن تحول العروف والصروف القاسية بيني وبينك فلا يتمتع بصري برؤياك و لا سمعي بحديثك)[١٠].

مواقفه الخالدة

١ ـ كان مناهضاً للاحتلال البريطاني للعراق فقد حَرّر نصاً في ربيع الثاني عام ١٣٧٨هـ بيّن فيه سياسة المستعمر الذي يحتل البلد فيحوله إلى كيان هش يدب في جسده المرض فلا يقوى على الإنتاج ويبقى تابعاً له مستهلكاً لما يجود به عليه ومن هذا النص: (كنت اتكلّم على المنابر من أول الحرب العراقية مبيناً الأضرار التي ستصيبنا إذا دخلوا بلادنا وكنت مطلعاً إطلاعاً واسعاً على ما فعلوه في الهند وكنت أبيّن ذلك على المنبر، فهم يعرفون أني من أشد الناس عليهم إنكاراً على سياستهم العاتية التي لا تبق لسكان البلاد الأصليين باقية مما أنعم الله به على عباده) ثم يعزو سبب اطماع المستعمر إلى حالة التفكك والتناحر التي تسود العالم الإسلامي فيقول (...فما بال المسلمين؟ أيبقون على هذا الحال الذي يسر به الأجنبي؟ وهو الذي أوجد هذا النزاع والتقاطع والعداوة والبغضاء فاستفاد وخسرنا وشبع وجعنا وعز وذللنا، فهو يضحك علينا ونحن في بؤس وشقاء) ويستمر في العرض ثم يبيّن بعد ذلك ما كان يصل من أخباره عن طريق الجواسيس إلى الانكليز فيقول: (ولقد لقيني يوماً رجل هندي ولكنه متولد في الكاظمية، وكان يظهر التقى والصلاح، ولقد صار موظفاً في دار الاعتماد البريطانية فسلم عليّ وقال لي: أنت مسبوق بإخلاصي لك وحبي لك وتقديري لمقامك وإن أخباراً تصل إلى دار الاعتماد عنك وإنك تهاجم حكومة بريطانيا على منابر الكاظمية وبغداد وإني والله خائف عليك وهذه نصيحة قدمتها لحضرتك، فشكرته مجاملاً له وهو أعلم بما يرد إلى دار الاعتماد مني وهو صادق في حبه لي ثم صادفني وأظن بعد شهرين وقال إن أخبارك حتى الآن تصل دار الاعتماد وإني أخشى عليك)[١١].

في شهر رمضان سنة ١٣٤٩هـ/١٩٣١م زار العراق وفد الجامعة المصرية برئاسة احمد أمين (مؤلف كتاب فجر الإسلام) ورغب هذا الوفد أن يزور مأتما من مأتم العزاء التي تجري عادة في العراق، فحضروا مجلس الشيخ كاظم في حسينية الشيخ بشار في الكرخ ببغداد ليلة وفاة

أمير المؤمنين (عليه السلام) وقد توافدت على المأتم الجموع الغفيرة التي ملئت بهم الأزقة والسطوح فلما ارتقى الشيخ كاظم المنبر بدأ مرحباً بالوفد ثم تطرق أثناء بحثه إلى كتاب (فجر الإسلام) وكان قد نشر حديثاً فناقش الفصل الذي خصصه المؤلف إلى الشيعة مناقشة علمية، توخى الدقة والموضوعية بتأكيده على ضرورة الرجوع إلى المصادر التاريخية الأولية، وعلى التحري على المعلومات في مظانها الموثوقة باستقصاء واستيعاب، ثم نقلها للقارئ بأمانة وصدق، بعيداً عن الهوى والتعصب وفي هذه الحادثة نقل السيد محسن الأمين (...فتعرض ـ الشيخ كاظم ـ لكلام أحمد أمين في كتابه المذكور وفنده بأقوى حجة وأوضح برهان ووفى المقام حقه وهم يسمعون، فأعجبوا ببيانه وأذعنوا لبرهانه)[١٢].

٣ ـ كان من الصفوة الذين مثلوا العراق في احتفال المؤتمر العالمي المنعقد في باكستان سنة ١٣٧٦هـ بمناسبة ذكرى مرور أربعة عشر قرناً على مولد الإمام علي (عليه السلام) وقد ختم الوفد إلى جانبه كل من الأعلام السيد علي نقي الحيدري والسيد حسن الحيدري والخطيب الكبير الشيخ محمد علي اليعقوبي والعلامة الكبير الشيخ محمد رضا المظفر والسيد إبراهيم الطباطبائي.

٤ ـ في شهر محرم سنة ١٣٤٠هـ/١٩٢٠م وعلى عادته أقام الملك فيصل الأول مجلس عزاء في الصحن الكاظمي وكان الشيخ كاظم خطيب ذلك المجلس فحث الناس على طلب العلم والتبرع لبناء مدرسة فجمعت تبرعات بلغت (٦١٠٠٠ روبية) لتأسيس مدرسة أهلية في الكاظمية فتأسست مدرسة المفيد القائمة حتى يومنا هذا[١٣].

٥ ـ حدث ذات مرة أن حضر الوزير ضياء جعفر في حكومة نوري السعيد مجلساً للشيخ كاظم في الساعات الأخيرة من الليل وكانت الإذاعة تبث برامجاً غنائية بينما كان المجتمع الإسلامي يقيم مجالس العزاء لمناسبة استشهاد الإمام علي فاستغل الشيخ الفرصة بوجود الوزير فقال: بينما العالم الإسلامي حزين بشهادة أمير المؤمنين نرى الإذاعة العراقية تبث الأغاني مما يعبر عن الفرح والسرور فقام الوزير واتصل بالإذاعة، فغيروا البرامج إلى قراءة القرآن بهذه المناسبة[١٤].

مؤلفاته

اللافت للنظر أن الشيخ ومع مجالسه الكثيرة وانشغاله الدائم في إعداد الجيل الجديد نلاحظ نتاجه الفكري المتميز حيث قدم للمكتبة العربية الإسلامية عدداً من المؤلفات منها[١٥]:

١ـ ملاحظات حول تاريخ الأمة العربية لدرويش المقدادي (١٣٥١هـ/١٩٣٣م).

٢ـ محمد والقرآن (تمت ترجمته إلى اللغة الفارسية) (١٣٥٥هـ/١٩٣٦م).

٣ـ المواعظ الدينية الصحية (١٣٥٥هـ/١٩٣٦م).

٤ـ القصيدة العلوية (١٣٦١هـ/١٩٤٢م).

٥ـ رد الشمس على أمير المؤمنين (١٣٧٤هـ/١٩٥٥م).

٦ـ طرق الحديث (الأئمة من قريش) (١٣٧٤هـ/١٩٥٥م).

إضافة إلى ديواني شعر كبيرين:

أما غير المطبوع فهي:

١ ـ النصوص القرآنية والأحاديث النبوية على إمامة أمير المؤمنين علي (عليه السلام).
٢ ـ أحوال الحسين (عليه السلام).
٣ ـ إيمان أبي طالب.
٤ ـ حياتي.
٥ ـ الحسم لفصل ابن حزم.
٦ ـ الحضارة والعرب.
٧ ـ المدنية والإسلام.
٨ ـ ملاحظات على تاريخ العراق بين احتلالين لعباس العزاوي... وغير ذلك.

شعره

كان شاعراً مجيداً، خصص الكثير من شعره في خدمة أهل البيت ومناهضة الاحتلال الأجنبي واستنهاض الهمم للوقوف بوجه الغزاة ومن شعره في رثاء سيد الشهداء قوله[١٦]:

بكينا لمّا حل في كربلا
ودمع العيون دماءً جرى
وقد كسفت شمسنا والنجوم
تساقطن حزناً على ما جرى
على ما جرى في عراص الطفوف
بعترة أحمد خير الورى
غداة ابن سعد أتى قائداً
لجيش كثيف بها عسكراً
يناجز سبط نبي الهدى
ويطمع في الري إذ أمرا
ودارت رحى الحرب في موقف
به قابل الادهم الاشقرا
ففرّت كتائبها نكصاً
وفي وجهها السبط قد غبّرا
وقد اثخنوا جسمه بالجراح
ثوى يا بئس لقى بالعرا
وجالت على جسمه خيلهم
ورضت له الصدر حتى القرا

ومن قصيدة يستنهض الأمة فيقول[١٧]:

يا لقومي كم ذا التواني وهذا
الغرب أبدى كوامن الإضغان
فهلمّوا للاتفاق وشيّدوا
يا لقومي دعائم الإيمان
إن أوطانكم أحاط بها الخصـ
ـم فحاموا عن حوزة الأوطان
يا بني الشرق كم نقاسي بلايا
من بني الغرب عصبة الشيطان
أدرك الغرب ما يروم من الشر
ق فهبوا إلى مَ هذا التواني

وله أيضاً[١٨]:

ما للقوي على الضعيف مسيطر؟
حتى مَ يبقى الشعب هنا خاضعاً
الأجنبي يعلّ ماءً صافياً
وابن البلاد الرنق يمسي كارعاً
الأجنبي يبيت ملأى بطنه
وابن البلاد يبيت يطوي جائعاً
الأجنبي مملّكٌ ببلادنا
وابن البلاد إليه يمسي ضارعا
حتى مَ نرضخ للمذلة والإبا؟
يأبى علينا أن نبيت خواضعا

وفاته

بعد أن أصبح توأماً للمنبر ورديفاً للكتاب وزميلاً دائماً للعلم كانت النهاية قد مضت كتاب المنية في اليوم السابع من جمادي الثانية سنة ١٣٧٩هـ الموافق ١٩٥٩/١٢/٧م وبذا أفل نجم من النجوم التي طالما ألقت شعاعها وضوئها على الأمة، كان ذلك اليوم مشهوداً حيث خفت إلى الكاظمية الجموع وهم يشهدون وداع هذه الشخصية الفذة وقد دفن في مقبرته في الصحن الكاظمي الشريف في

الحجرة الأولى يسار الداخل إلى الصحن من باب صافي الواقعة في الزاوية الغربية الجنوبية.

أقيمت على روحه الطاهرة الكثير من الفواتح في الكاظمية وبغداد ورثاه الكثير من الشعراء والأدباء، منهم الدكتور حسين علي محفوظ حيث قال:

أ أبكيك أم أبكي البيان المروعا
وارثيك أم ارثي العلى والنهى معا
وأحلب شطر العين دمعاً وهذه
عليك البواكي تنثر الدم ادمعا
قضيت فأخرست اللسان ولم يحِرْ
مقالا فمن للضاد بعدك أروعا
أجل عثر الدهر الخوؤن ولم يقل
فلا دعدعاً للعاثرين ولا لعاً
مضيت فما بال المنابر ألجمت
ورويت نجماً كان في الأفق المعا
وغادرتها خمساً وسبعين حجة
طوين وبارحت المدارس بلقعا ■

(١) السيد حسن (معجم الخطباء) ٨٢/٦.
(٢) المصدر السابق.
(٣) الدباغ (لمحات من سيرة الشيخ كاظم آل نوح (ص١).
(٤) المصدر السابق.
(٥) السيد حسن (معجم الخطباء) ٨٣/٦.
(٦) آل نوح (مقدمة كتاب محمد والقرآن).
(٧) السيد حسن (معجم الخطباء) ٨١/٦.
(٨) ديوان الشيخ كاظم آل نوح ١ /ج ـ د.
(٩) المصدر السابق ٩/١٢.
(١٠) كاشف الغطاء (جنة المأوى) ص٢٠٩.
(١١) الدباغ (دور الكاظمية ضد الاحتلال البريطاني) ص:٩.
(١٢) أعيان الشيعة ١٣٥/١٢.
(١٣) الدباغ (لمحات من سيرة الشيخ كاظم آل نوح) ص:٣.
(١٤) الغريفي (المنبر وأثره في حياة الإنسان) ص:١٢٠.
(١٥) السيد حسن (معجم الخطباء) ٨٦/٦.
(١٦) المصدر السابق، ٨٨/٦.
(١٧) الدباغ (دور الكاظمية ضد الاحتلال البريطاني) ص:١١.
(١٨) ديوان الشيخ كاظم آل نوح، ٢ / ٤٢٤.
(١٩) الدباغ (لمحات من سيرة الشيخ كاظم آل نوح) ص:٢٣.

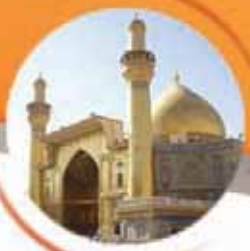

حكاية مستبصر..

أكرم يوسف البرزنجي

(العراق ـ السليمانية)

ولد عام ١٩٥٤م بمدينة السليمانية في العراق، وفي أسرة كردية شافعية، حصل على شهادة البكالوريوس في الإدارة والاقتصاد، شغل منصب معاون مدير مديرية الإحصاء العامة في السليمانية. يحكي قصة إعتناقه لمذهب أهل البيت عليهم السلام فيقول: شاءت الأقدار الإلهية أن ألتقي بأحد الإيرانيين، فأهداني كتاب (مفاتيح الجنان) للشيخ عباس القمي، وما إن عدت إلى المنزل حتى دفعني حبّ الإطلاع والرغبة لمعرفة محتواه، فتصفحته وطالعت بعض فقراته،فوجدته كتاباً رائعا فيه أدعية نالت إعجابي، بحيث أنني أحسست من خلال قراءتها والتمعن في مضامينها أثر النقاء والصفاء والخشوع في نفسي، ولاح لبصري من خلال قراءتي لتلك الأدعية نوراً منحني الرؤية الواضحة لمشاهدة الحقائق، لأن الأدعية الواردة عن أهل البيت عليهم السلام تترجم عمق الصلة بين العبد وربه وتعبر، عن حالة الافتقار المتأصلة في ذات الإنسان، إلى الله عز وجل، ومثل هذه الأدعية تمثل السبيل لوصول العبد إلى ربه والقرب إليه.

كما وجدت أن هذه الأدعية تحتوي على ثروة كبيرة من المعارف والمفاهيم المرتبطة بالشؤون الفردية والإجتماعية، فهي مدرسة تربوية وتثقيفية تمنح القارئ رؤية واسعة لمعرفة نفسه، وإدراك الحقيقة التي من أجلها خلق ومن أجلها يحيا ومن أجلها يعيش.

ويضيف الأخ أكرم: كان بودي أن أجد مثل هذه الأدعية والأعمال المستحبة في كتبنا أبناء العامة، ولكنني لم أجد مثلها من حيث القوة والتأثير، فأدركت أن كلام أهل البيت عليهم السلام نور وأمرهم رشد، لأنه ينطلق بتسديد إلهي وعناية ربانية من نفوس أذهب الله عنها الرجس وطهرها تطهيراً.

فكان هذا الكتاب بمثابة الدواء لتسكين الأمي والتئام جراحي النفسية، التي كنت أعاني منها نتيجة افتقادي للركائز الروحيّة التي يمكنني أن أعتمد عليها في مواجهة

الصعاب التي تعترض مسيرتي في الحياة.

فكنت أتأمل في مضامينها، وأغوص في بلاغتها وفي معانيها. فمثلا، يخاطب العبد ربّه سبحانه وتعالى: (إلهي البستني الخطايا ثوب مذلتي، وجللني التباعد منك لباس مسكنتي، وأمات قلبي عظيم جنايتي، فأحيه بتوبة منك يا أملي...)، فكنت أخلو كثيراً مع نفسي وأذرف الدموع على حالي باكياً ومناجياً ربي: (إلهي أعني بالبكاء على نفسي، فقد أفنيت بالتسويف والآمال عمري، وقد نزلت منزلة الآيسين من حياتي،ومالي لا أبكي، ولا أدري إلى ما يكون مصيري، وأرى نفسي تخادعني، وأيامي تخاتلني)... ومن ذلك الحين بدأت أتدرج في صياغة معارفي، فعرفت الله بالله: (إلهي بك عرفتك، وأنت دللتني عليك، ودعوتني إليك، ولولا أنت لم أدر ما أنت)، ثم إلتجأت بعدها إلى الله: (اللهم عرفني نفسك، فإنك إن لم تعرفني نفسك لم أعرف رسولك، اللهم عرفني رسولك فإنك إن لم تعرفني رسولك لم أعرف حجتك، اللهم عرفني حجتك فإنك إن لم تعرفني حجتك ضللت، عن ديني)، وطالعت دعاء الندبة من ذلك الكتاب، فتجلت لي حقائق كثيرة وعرفت من خلاله ضرورة وجود الأئمة في المجتمع، وإنهم السبيل إلى الله والمسلك إلى رضوانه وإنهم هداة الأمة، وأن رسول الله صلى الله عليه وآله كان منذرا ولكل قوم هاد. وهكذا جميع ماورد عن اهل البيت عليهم السلام من ادعية وزيارات.

وبعد تعرفي علي جملة من المعارف الدينية عبر أدعية هذا الكتاب، إزداد إندفاعي وشوقي نحو البحث عن التشيع، فإنطلقت للإستفسار ممن يحيطني حول

هذا المذهب، حتى توفرت لي الأرضية في يوم من الأيام، إذ سافرت إلى مدينة بغداد لزيارة أحد أقاربي، فالتقيت هناك في أحد المساجد الشيعية بعالم شيعي، فكان لذلك اللقاء المختصر أثراً بالغاً في نفسي، ومن حينها بدأت تتبلور في ذهني صورة التشيع بصورة كاملة.

كما تعرفت بعد ذلك على بعض الشيعة، وخضت معهم نقاشات عديدة، ومستفسراً منهم، عن بعض الأمور التي كانت مبهمة بالنسبة لي، وطالعت بعض الكتب الشيعية ككتاب (المراجعات) للسيد شرف الدين العاملي، وكتاب (ثم اهتديت) للتيجاني السماوي فتأثرت بها، لكنني مع ذلك كنت أعيش صراعاً نفسياً مدمراً، فكنت أدعو الله أن يهديني إلى سواء السبيل، وإستجاب الله دعائي فإستبصرت عام ١٩٩٧م على يد أحد الأخوة الشيعة، فبدأت أتلقى على يده فروع الدين النقية التي وردت عن طريق أهل البيت عليهم السلام ■

قراءة في كتاب..

شيعة العراق

د. حيدر نزار السيد سلمان ●
الكلية الإسلامية الجامعة

ينابيع

حظي الشيعة في العالم بصورة عامة وشيعة العراق بصورة خاصة باهتمام الباحثين الأكاديميين ومراكز البحوث والدراسات الإستراتيجية بعد إهمال طويل لتاريخهم وعقائدهم وما مروا به خلال الحقب التاريخية من معاناة وصراع مع السلطات الحاكمة التي حاولت إخضاعهم وإطفاء جذوة عقيدتهم دون جدوى، وقد شهدت مدة عقد الثمانينات من القرن العشرين اهتماماً ملحوظاً ومتزايداً من جهات وأطراف ومراكز مختلفة في توجهاتها الفكرية والأيدلوجية لدراسة هذه الطائفة والروابط التي تجمع بين أفرادها والسمات العامة لها وقد جاء ذلك بعد النهوض الشيعي الكبير في نهاية عقد السبعينيات من القرن المذكور أعلاه وظهور الشيعة كقوة لا يمكن إهمالها أو إغفال تأثيراتها على الصعيدين الدولي والإقليمي بالإضافة إلى الطروحات الفكرية السياسية والاجتماعية الجديدة التي أخذت تظهر على الساحة لرموز ومفكرين شيعة إذ تميزت هذه الطروحات بالاعتدال والوسطية والعصرنة مع ما تملكه من صلابة وقوة في بناءها العام لذلك فقد جاءت الدراسات والبحوث والتقارير تتراكم حول الشيعة وتاريخهم ودورهم السياسي والثقافي في العالم الإسلامي وفي العراق بشكل أساسي، والحقيقة فقد تميزت هذه الدراسات بسمات علمية وأكاديمية جادة ورصينة في جانب منها فيما تميزت الأخرى بالسطحية والعشوائية وعدم الوصول

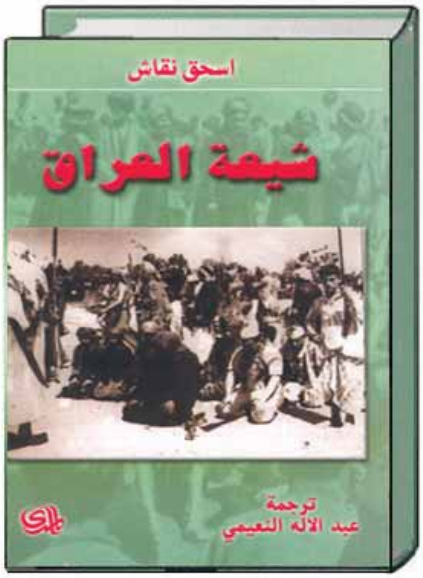

للحقيقة والخوض فيها بل كانت دراسات مربكة تفتقد إلى المصداقية والنزاهة فماتت بسرعة بمواجهة الدراسات الجادة والعلمية لكن ذلك لا يمنع من التأكيد على أن كل هذه الدراسات جاءت لتسد فراغاً كانت تشهده الدراسات الأكاديمية في هذا الجانب ونتيجة لقوة الظلم المسلط على شيعة العراق على مدى قرون وفقدانهم أبسط حقوقهم الثقافية والسياسية والدينية وتصاعد الأصوات الداخلية والخارجية لإنصاف هذه الطائفة التي تشكل الأكثرية السكانية وإيقاف ما يجري بحق أبناءها من عمليات قتل وتشريد وتهجير واستباحة للكرامات والحقوق أزداد الاهتمام بهم وانبرى باحثون وكتاب ومؤرخون لانجاز دراسات عنهم تزيل حالة الغموض والإرباك السائدة في الأوساط الأكاديمية العالمية وعلى هذا السياق فقد جاءت الدراسة البحثية الرائعة للمؤرخ (إسحاق نقاش) المعنونة (شيعة العراق) لتنظم إلى الدراسات الأكاديمية المنصفة العلمية النزيهة، وبالفعل فأن هذه الدراسة المنشورة بكتاب كتب باللغة الإنكليزية وتمت ترجمته إلى اللغة العربية وطبع في إيران جاء بمواصفات البحث الأكاديمي الناجح من ناحية استخدام البحث العلمي والتحليل للحوادث والنصوص والوقائع مع الاستخدام المكثف للمصادر الأصلية من وثائق وصحف وكتب لذلك أصبح (شيعة العراق) مصدراً مهماً وخطيراً لكل الباحثين الذين يدرسون تاريخ العراق المعاصر من الناحية السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية فهو متخم بالمادة العلمية والتحليل المستند إلى النصوص والحوادث والرصانة والحيادية في الطرح ويمكن للقارئ أن يلاحظ عند قراءته لهذا الكتاب الانسياب المتسلسل للمعلومات والحوادث الواردة

فيه بلا صعوبة ومبالغات وغموض وهذا ما منح الكاتب والكتاب درجة عالية من المصداقية في نتاجه الفكري.

يبدأ إسحاق نقاش كتابه في سرده لموضوعته منذ التشكلات الأولى للمدن المقدسة في العراق وهو يركز على الأهمية التاريخية والدينية والثقافية لكل من مدن النجف الأشرف وكربلاء المقدسة والكاظمية وسامراء مركزاً على المجتمعات الحضرية التي ضمتها هذه المدن وقوة جذبها وتأثيرها في الشأن العراقي والإقليمي محاولاً تقديم جرد تاريخي عن النشأة والسكان والعوائل والأسر الدينية العلمية في مدن العتبات المقدسة لاسيما مدينة النجف الأشرف بوصفها المدينة الأكثر نفوذاً في صناعة الوعي الثقافي والإنتاج الفكري المكرس للشخصية الشيعية وتكونها العقائدي والكاتب لا يترك التفاصيل الدقيقة التي لم يهتم بها كتاب آخرون أو لم يعيروها الأهمية التي تجعل منها عوامل مؤثرة في سياق الحدث التاريخي والبناء العقائدي فقد وجدنا الكاتب يركز على الشعائر الحسينية وأثرها في قوة وتماسك الشيعة وقدرتهم على مواجهة التحديات المتعاقبة طوال التاريخ الإسلامي والكاتب إسحاق النقاش يقرأ هذه الشعائر والطقوس ودور المدن المقدسة في الترويج لها والحفاظ عليها كجزء من بناء الهوية الشيعية وقدرتها على الصمود بوجه محاولات التشويه والتهميش والتدمير والحقيقة نرى ذلك الربط الموضوعي المثير للانتباه بين الشعيرة الدينية والوضع السياسي والاقتصادي والاجتماعي وحالة الاندماج بين المؤسسة الدينية (المرجعية الدينية والمدارس والحوزات) والإفراد الذي يصل إلى أعلى درجات الانسجام والتوافق والقبول برأي العلماء المراجع وفتاواهم ثم يسترسل الكاتب في بحثه المشوق متناولاً بعقلية تحليلية الدور السياسي لشيعة العراق ومراجعهم في فترة حرجة وخطيرة من تاريخ العراق المعاصر ونعني هنا مرحلة تشكيل الدولة العراقية عام ١٩٢١م ونهوض شيعة العراق بوجه الغزو الأجنبي في انتفاضات وثورات ومعارضة سلمية كان ابرز مظاهرها انتفاضة النجف الأشرف عام ١٩١٨م والثورة العراقية الكبرى عام ١٩٢٠ باحثاً في الخلفيات والمؤثرات لتطورات المشهد العراقي داخلياً وخارجياً وخاصة في الجانب الإيراني وفي قراءته تلك نرى الانهماك المقصود في التفاصيل التي وجد فيها نقاش عناصر تدعم بحثه وعمله ومنها العلاقات الأسرية والزيارات والمراسيم ويتوقف عند علامات بارزة في التاريخ العراقي المعاصر وظهور نخب شيعية حاولت تحقيق نوعاً من الموازنة واسترداد حقوق الطائفة من السلطة السياسية الحاكمة لكنها واجهت الجفاء والرفض وفي هذا الإطار فأن الكاتب يركز على قوة المطالبة الشيعية بالإصلاح والعدالة والمساواة التي أخذت تبرز بفاعلية مع انطلاق العقد الثالث من القرن العشرين وتمثل ذلك بالإضراب العام لسنة ١٩٣١م وانتفاضات العشائر لعامي ١٩٣٥ و ١٩٣٦م والدور الأساس للمرجعية الدينية في تبني المطالب الشيعية وليس هذا فحسب بل إن الكاتب يلج مجال الإصلاح المؤسساتي داخل البناء المرجعي عبر البحث في إصلاح

التعليم والمدارس وقدرة هذه المؤسسات الدينية على التوافق مع التعليم الحديث ويشير في هذا السياق إلى جهود جمعية منتدى النشر والشخصيات العلمية الفاعلة التي أرادت النهوض بالمستوى العام للتعليم الديني وإدخال الدروس والمناهج والطرق الحديثة والحقيقة إن هذا يؤكد على قدرة هذه المؤسسات عن الاستجابة للتحديات الجديدة المتولدة عن الدولة العراقية الجديدة ويمكن للقارئ أيضاً أن يطلع على قوة الملاحظة والأدلة التي يجمعها النقاش ويقدمها لإثبات مظلومية شيعة العراق ومعاناتهم المستمرة مع السلطات الحاكمة وقدرتهم على مقاومة هذه المظالم وعدم الرضوخ أو الاستكانة مما جعل مناوئيهم يفقدون القدرة على طمس الشخصية الشيعية وتدميرها بل أن الثقافة الشيعية راحت تسود الجو الثقافي العراقي أدباً وشعراً ونتاجاً فكرياً وتصاعد ظهور النخب المثقفة السياسية والأدبية المعبرة عن الهم الجماعي الشعبي وهي نخب في حقيقتها مدعومة من المرجعية الدينية ومتكونة في الأساس داخل هذا الإطار الديني إذ يؤكد نقاش على موضوعة تشكل هذه النخب وخروجها من عباءة المرجعية الدينية ويستمر الكاتب في بحثه الشامل ليصل إلى عام ١٩٩١م وهو عام الانتفاضة الشعبية العارمة ضد التسلط البعثي البغيض وبين البداية والنهاية يعمل على تفكيك الأفكار والحوادث ليعيد صياغتها بلغة علمية مركزاً على الإصدارات والجهود الشيعية المتنوعة لتأكيد الذات والحصول على حق المساواة والعدالة مبرهناً على قوة الدوافع المحركة لنيل هذه المطالب والتضحيات المقدمة في هذا السبيل.

استخدم إسحاق النقاش في كتابه هذا الأسلوبين الوصفي والتحليل فهو تارة يصف الأحداث والوقائع بلغة سلسلة جذابة ومعبرة وقادرة على النفاذ إلى ذهنية القارئ وقلبه وتحقيق تواصل حقيقي وانشداد موضوعي فضلاً عن البساطة في الطرح ومرة أخرى يعود الكاتب للتحليل وقراءة النص قراءة متأنية تمتاز بالعمق وفي كلا الحالتين فأن الكاتب يتبع بصرامة المنهجية العلمية ومراعاة التسلسل التاريخي للوقائع، وهذا ما أعطى الكاتب والكتاب صفة الرصانة الأكاديمية ودقة التصرف بالمعلومات الواردة أعتمد الكاتب على مجاميع كبيرة من المصادر الوثائقية والصحف العراقية والنجفية وعشرات الكتب المتنوعة المقاصد وجاء استخدام المصادر كل في مكانه الصحيح وعلى العموم فأن الكاتب إسحاق نقاش قدم للمكتبة دراسة رائعة وعلمية عن شيعة العراق امتازت بالمصداقية والموضوعية وفيها أبرز الدور السياسي والثقافي لشيعة العراق ووزنهم الاجتماعي والاقتصادي وبذلك فأن الكتاب لا يمكن إلا الاعتماد عليه كمصدر مهم لدراسة تاريخ العراق المعاصر وتاريخ شيعة العراق ودور مدم العتبات المقدسة في تشكيل الهوية الجماعية للشيعة وبناء ذاكرة تاريخية موحدة ومن المناسب القول إن كتاب شيعة العراق كتاب جدير بالقراءة ولاسيما من قبل الباحثين والأكاديميين وطلبة البحوث والمختصين بالشأن التاريخي والسياسي ■

أهمية رحلات الحج الفارسية في دراسة تاريخ النجف الأشرف الحديث والمعاصر

د. نصير الكعبي •
كلية الآداب/ جامعة الكوفة

ينابيع

يكتسي نص الرحلة بصفة خاصة، أهمية مضاعفة ومركبة عند توظيفه في مجال الكتابة التاريخية بوصفه مادة خام، فمن جهة يكتسب صفة المعاصرة المحكومة بعنصريي (الزمان/ المكان) لتقويم أهمية المصادر ودرجة فائدتها، فالزمان متمظهر باستمرار وملازم دائم لتدوين الرحلة وتطوراتها وهو انعكاس مزمن لكل فعالياتها وانطباعاتها شبه اليومية، فيما المكان أيضاً متجسد بشروطه الإنموذجية الفاعلة المتمثلة بمركب قراءة الذات والآخر، فغالب الموضوعات المنتخبة محكومة بشرط اكتشاف الذات وردم فجواتها والأماكن المجهولة فيها. والكشف عن مديات

الفروقات الحسية والمكانية والمناخية فيها وكل ذلك عبر المقارنة والمقابلة مع الآخر.

يبدو إن هذه صفات عامة تحكم نص الرحلة عند استثماره في مضمار الكتابة التاريخية. فيما الخصوصية تأخذ فاعليتها الواضحة في رحلة الحج الفارسية بوصفها مادة تاريخية خام لدراسة تاريخ مدينة النجف الأشرف في العصر الحديث والمعاصر، فمن جهة الكم هنالك أكثر من خمسين رحلة فعلية تم تحقيقها ونشرها احتوى معظمها معلومات وافرة عن مدينة النجف تخص مناحي متنوعة من الحياة العامة والدينية والاقتصادية...الخ، ومن جهة النوع فمدن العتبات المقدسة النجف وكربلاء تشكل للإيراني معبد مقدس ومرآة للكشف عن خطايا الروح وتطهيرها. لذلك يتم من خلالها اختزال مجمل مسيرة العمر.

وعلى الرغم من الأهمية الفائقة للحج إلى مكة لكن يلحظ ان المكانة العليا المعطاة للأضرحة المقدسة في العراق يجعلها من الأهداف الرئيسة في نص رحلة الحج الفارسية بل بؤرتها المركزية،ولذلك يلحظ في كثير من الرحلات ان التاريخ (التقويم) المستعمل فيها هو السنة الأولى لخلافة الإمام علي، ولهذا يتعدى الذكر وصف الضريح والاختلاجات التي تترتب عليه مابين (الرحالة الحاج) والمكان المقدس وهو يمثل المركز إلى إعطاء توصيفات لحلقات ودوائر أوسع تأخذ أبعاد أفقية وعمودية،فعلى المستوى الأفقي لا يتم الاكتفاء بوصف الضريح (مركز الرحلة) وإنما يتعدى الأمر بتفصيل ظاهر إلى الطرقات البعيدة المؤدية إلى المكان المقدس ووصف كل ما يعترضه أو يعتريه من أوصاف وأخبار متغيرة بطبيعة موضوعاتها المنتخبة وزمان تدوينها من رحالة إلى آخر وربما الفروقات المتكررة

التـي تحملها الرحلـة في هذا المسـتوى تخلق بيئة مناسـبة للمقارنة والكشـف عن المتغيرات الحادثة، فيما يمنح المسـتوى العمـودي إمكانيـة هامة في الكشـف عما عجزت العيـن التقليدية أي صاحبة المكان في توصيفة وتدوينه لحال التشبع والنمطية الذي عاشـته لمدد طويلـة فأصبحت غير قـادرة علـى التشـخيص والتميـز، فيما الصـورة تبـدو مختلفـة للرحالـة الحـاج فالمشـاهدة الأولى تحمل فـي تصويرها ورؤيتها ما فات صاحب المكان في تدوينه والتقاطـه، فتبرز هنـا الأهمية في تجديد الكتابة عن تاريخ النجـف بتوفر مادة حية معاصـرة لم توظـف أو تسـتهلك كما هو حادث في مجمـل المصادر التقليدية التي أصبحـت معلوماتهـا إلى حد مـا مكررة، ومتداولة باستمرار.

وتحمـل رحلـة الحج الفارسـية ثلاث مشـاهد رئيسة هي مشهد التهيؤ والخروج والـذي غالبا مـا يكون الحلم هـو الحافز والدافع للخـوض فيه وفي هـذه المرحلة تتبلور الأسـئلة الجوهرية الافتراضية ذات البعد المتخيل دفع إلى صياغتها وتشـكلها حال الاشـتياق لبـدء عتبة جديـدة للحياة الأخرى ولتزكية الحياة السابقة وتتويجها.

والمشـهد الثاني هو مشـهد المسـير ويتضمن وجهين للسـفر ذهابـاً وإياباً مع اختلاف يميزها، فالأول مسـهباً وتفصيليا والثانـي مختصـرا وسـريعاً، وغالبـا ما يكون هـذا المشـهد محفوفـا بالمعانات والمخاطر ،لكـن الذي يخفـف الوطأة هو الهدف أو المقصد الأخير المتمثل بالمشهد الثالث والأخير وهو مشهد الوصول الذي يتم فيه التحقق بين المشاهد التخيلية وبين الواقـع المرئـي وفيها يتم إسـقاط بعض الأفكار المسبقة وإنشاء أفكار أخرى.

وتحمـل هـذه المراحـل الثـلاث في داخلهـا قـدرة عالية للكشـف عـن بعض التمايزات الواقعية لمدينة النجف ولاسيما هنـا مابين المحيط والداخـل فقد قدمت توصيفـا ديمغرافيـاً للأعـراب وطريقـة تعاملهـم المتربص مـع المدينـة كما أنها تجاوزت التصنيف الثنائي الحاد (الفرس/ العـرب) فهـي عرضـت لصـور حميمية مملـوءة بالإيجابيـة حيـال العرب سـكان المدينـة ويبدو أن وجـود الضريح مقصد الرحلة ساهم كثيراً في تكوين تلك الصور وإخراجها بهيئتها النهائية.

وفضـلاً عن البعـد الحسـي (المادي) لرحلـة الحـج الفارسـية فـي تصويرها للاماكـن المقدسـة فهي أيضاً محتشـدة بالبعـد المخيالـي وعلـى وجـه التحديـد الأحلام التي تـزداد كثافتها في نص رحلة الحـج وربما هذه الكثافـة نتاج أجواء مدن العتبات المقدسـة المعبئـة بفكرة التطهير والإعـداد للحيـاة الآخرة،فأجـواء مدينة النجـف المفعمة بطقس الآخـرة (لوجود مقبـرة وادي السـلام) التي تعـد من أهم مواضـع رحلـة الحج، وفي هـذا نقلة من الحيـاة الدنيا إلـى العالم الآخـر مع بيان لموضع هذه المدينة في ذلك العالم.

ومما ميز رحلة الحج الفارسية بوصفها مادة أولية للكتابة التاريخية عن مدينة النجف إن مجملها يعود إلى العصر القاجاري يوم كان العراق تحت السيطرة العثمانية فهي قد وفرت مادة علمية وحيوية عن تاريخ هذه المدينة التي عانت كثيراً من قلة مصادر الدراسة في تلك الحقبة، اذ جاءت في كثير من الأحيان بتفاصيل وأخبار قل تناولها في المصادر الأخرى، فقد تنوعت الطريقة التي تناولت فيها تلك الرحلة أخبار النجف، بين تقارير شبه يومية لصاحب الرحلة للمناطق التي زارها وتجول فيها وهي تتضمن في الغالب وصف للضريح وعمارته وللأسواق وما يوجد فيها من بضائع مع ذكر أقيامها وطريقة تعامل أصحابها مع المتبضعين، وغالبا ما يذهب صاحب الرحلة إلى مقبرة وادي السلام لزيارة أحد أقاربه أو بعض المراقد الموجودة هناك فيبدأ بوصف بعض العمائر والأبنية الشاخصة، كم يذهب صاحب الرحلة إلى حمامات المدينة العامة، إذ يركزون الوصف على درجة نظافتها واتساخها، لأنها تدخل باستمرار ضمن طقس الغسل والاستعداد الروحي والنفسي لمراسم الزيارة.

وقد تأخذ الرحلة أحياناً طريقة أخرى غير التقارير شبه اليومية اعتماداً على موضوعات محددة بعينها يختلط فيها العام مع الخاص وفق موضوعات ومطالب متغيرة بطبيعة صاحب الرحلة.

وتتغيير طبيعة الرحلة ورؤيتها بحسب المرجعية الفكرية أو الوظيفية أو حتى جنس الرحالة (رجل/ امرأة)، فمما ماز رحلة الحج الفارسية تنوع مشارب وانتماءات أصحابها بين رجل بلاط أو صاحب سلطان وسياسة أو بين نخب ارستقراطية متعلمة تعليم عال أو حتى في بعض الأحيان بين متهجد صوفي طاعن في السن وجد خلاصه ومآله في تلك الرحلة أو امرأة تنحدر من ارستقراطية عتيدة يحيط بها الحشم، كل تلك الانتماءات ألقت بظلالها وصبغتها الواضحة على الزاوية التي ينظر بها صاحب الرحلة إلى النجف وتوثيق ما يراه يلائم تطلعاته ويشبع ميوله.

وتنحصر رحلات الحج الفارسية مابين السنة ١١٥٣هـ/١٧٤٠م التي ظهرت فيها أول رحلة تعود لذلك العصر وباسم بيان وقع (بيان الواقع) للخواجه عبد الكريم الكشميري وآخر رحلة في سنة ١٣٣٩هـ/١٩٢٠م المعروفة بـ(سفرنامه مك) (رحلة مكة) للطف علي خان العلائي، أي ما يقارب أنها غطت ١٨٠ سنة تقريباً.

اختلفت الرحلات في قيمتها وأهمية المادة العلمية التي احتوتها مابين مفصلة ومختصرة كما اختلفت الطرق والمسالك التي سلكتها والمادة العلمية التي تضمنتها، من حيث طبيعة الأسلوب وطريقة التناول والاستحضار، ومن بين ابرز تلك الرحلات رحلة بيان واقع التي ركز فيها الكشميري على عمارة الضريح ولاسيما تذهيب قباب ضريح الإمام علي من قبل نادر شاه، وأورد بعض الإشارات الهامة للعلاقة المتوجسة الرابطة بين سكان المدينة داخل السور وبين الأعراب المتحينين للفرص، وتأخذ رحلة (تذكرة الطريق في مصائب حجاج بيت الله العتيق) للحافظ محمد عبد الحسين الهندي١٢٣١هـ/١٨١٥م أهمية وخصوصية بارزة في تركيزها على جانب المصائب والأهوال التي تعتري الحجاج في مسيرتهم الطويلة، فيما يخص

النجف ركز الوصف على سكن (الحجاج/ الزوار) خارج أسوار المدينة وضربهم للخيام وما كانوا يتعرضون له بين الفينة والأخرى من سرقات اللصوص (٢٧٦/١) كما خص بالوصف طريقة تعامل الأعراب الانتهازية في تأمين طرق وصولهم من وإلى النجف (٢٧٩/١)، وتعد أيضاً رحلة مكة ١٢٧٩هـ/٥٢ ١٨م لسيف الدولة من الرحلات المميزة من حيث أسلوبها والطريق الذي سلكته فغطت الرحلة تقريبا معظم دول الشرق مثل مصر والدولة العثمانية،وقد قدم وصفاً مفصلاً للطرقات الواصلة إلى مدينة النجف والحياة الطبيعة من نباتات وحيوانات انقرض وجودها الآن فضلاً عن محطات القوافل (الخانات) الواقعة بين النجف وكربلاء والطرق النهرية أو البرية والأوقات التي تتطلبها كل طرق، واللافت في هذه الرحلة أنها بدأت بوصف مدينة النجف عن طريق الكوفة ومسجدها والمزارت الموجودة فيها، ويبدو أنها من أكثر الرحلات تفصيلًا وهذا ما يثبته العنوان الرئيس الذي خص به النجف وهو (تفصيل أوضاع مدينة النجف الأشرف وأحوالها) فتناول في ديباجته مناخ النجف وطبيعة أرضها والموارد الطبيعة فيها، ثم قدم عرضاً آثارياً عن عمارة الضريح ووصفا حياً لمقتنياته ومن قام بإهدائها من الملوك والسلاطين (١٥٠/٢-١٧٠)، ومن الرحلات ذات الأثر البارز في ذكر النجف ومحيطها والتركيز على تفاصيل لم ترد في مصادر أخرى رحلة (منازل قمرية در سوانح سفريه) (المنازل القمرية في السوانح السفرية) لعلي حسين بن الخيرات ١٢٩٨هـ/١٨٨٠م فقد زار النجف واستقر فيها في طريق ذهابه إلى الحج و في طريق عودته إلى دياره، إذ يذكر أنه حينما حل بها لأول مرة استقر لمدة خمسة شهور، ولما كان صاحب الرحلة قد سلك الطريق النهري فانه قد دخل النجف عن طريق الكوفة إذ حل في مسجدها الجامع، فقدم عنه وصفاً حياً لمعظم عمارته مع تأكيده على تدوين الكتابات المنقوشة على الجدران والأبواب، ثم انتقل إلى مدينة النجف الأشرف وكان في ضيافة واحد من علمائها وربما لمكانة صاحب الرحلة العلمية نلحظ أنه سلط الحديث عن الدرس العلمي والحوزوي في عصره، كما أنه وصف الحياة العامة ولاسيما أسواق المدينة وطبيعة البضائع وأقيامها مقارنة بالمناطق التي زارها في الرحلة، ولم يغفل صاحب الرحلة ذكر ضريح الإمام علي ومحتوياته، فقدم وصفا لأبواب الضريح وما كتب عليها والمقتنيات الثمنية وآراء الناس حولها (٧٠/٢ ٦وما بعد)

رحلة فرهاد ميرزا معتمد الدولة ابن عباس ميرزا وهو من علماء وسياسي العصر القاجاري، فقد احتوت رحلته على معلومات هامة عن النجف وطرقاتها وطبيعة الحياة العامة فيها. ومن الرحلات الأخرى رحلة حسام السلطنة وهو أخو فرهاد ميرزا ١٢٩٧هـ/٧٩ ١٨م ■

أخلاق النبلاء..

كان المنصور العباسي بمكة في سنة من السنين، فعرضت عليه جواهر كانت عند هشام بن عبد الملك، فقال: بلغني أن عند محمد بن هشام جواهر غير هذه، وكان محمد بن هشام حاجاً في تلك السنة، فانتظر المنصور، حتى اجتمع الناس في الكعبة، فأمر وزيره الربيع أن يغلق جميع الأبواب، ويوكل بها من يطمئن إليه، ويبقي باباً واحداً، يقف عليه الربيع، ولا يدع أحداً يخرج إلا من يعرفه حق المعرفة، إما شخصياً، أو بشهود. وفعل الربيع ذلك.

وكان ابن هشام في الكعبة، فعرف أنه هو المطلوب، فذعر وخاف، واضطرب أيما اضطراب، فرآه محمد بن زيد بن علي بن الحسين عليهما السلام على تلك الحالة، وهو لا يعرفه، فسأله عن شأنه، فقال الأموي: ألي الأمان إن أخبرتك؟ قال السيد العلوي: نعم، وأنت في ذمتي، حتى أخلصك.

فقال الأموي: أنا محمد بن هشام بن عبد الملك، فمن أنت؟ قال العلوي: أنا محمد بن زيد بن علي بن الحسين. فازداد خوف الأموي، وقال: عند الله أحتسب نفسي.

قال السيد العلوي: لا بأس عليك، وسأعمل لخلاصك، على أن تعذرني في مكروه أتناولك به. قال الأموي: أنت وذاك. فنزع السيد العلوي رداءه، وطرحه على رأس الأموي ووجهه، وأخذ يجره من خلفه، حتى إذا وصل إلى الباب، جعل العلوي يضرب رأس الأموي، ويقول للربيع: يا أبا الفضل إن هذا الخبيث جمّال من أهل الكوفة، أكراني جماله ذهاباً وإياباً، ولكنه هرب مني، وأكرى جماله لغيري، فأعطني رجلين يحرسانه، حتى يؤدي إلي حقي. فأعطاه الربيع شرطيين، فمضيا معه، فلما بعد عن المسجد، قال له العلوي: يا خبيث تؤدي إلي حقي؟ قال الأموي: نعم يا ابن رسول الله. فقال للحارسين: انطلقا عنه. ثم أطلقه، فقبل الأموي رأس العلوي، وقال: بأبي أنت وأمي، الله أعلم حيث يجعل رسالته، ثم أخرج جواهر ودفعها إليه، وقال: أرجو أن تشرفني بقبولها.

قال: نحن أهل بيت لا نقبل على المعروف ثمناً، وقد تركت لك أعظم من هذا: وهو دم أبي زيد الذي قتله أبوك هشام، فانصرف ووارِ شخصك.

ولا بدع إذا عفا حفيد أمير المؤمنين عليه السلام عن ابن قاتل أبيه، فجده من قبل صفح عن ألد أعدائه ابن العاص، وابن أرطأة، وابن الحكم، وصاحبة الجمل، وأوصى بقاتله خيرا.

الشيعة في الميزان/ محمد جواد مغنية ص١٣٦ـ١٣٧

طروحات عامة

فكرة التسامح في تراث الأئمة عليهم السلام

فؤاد جابر كاظم •
المملكة المتحدة

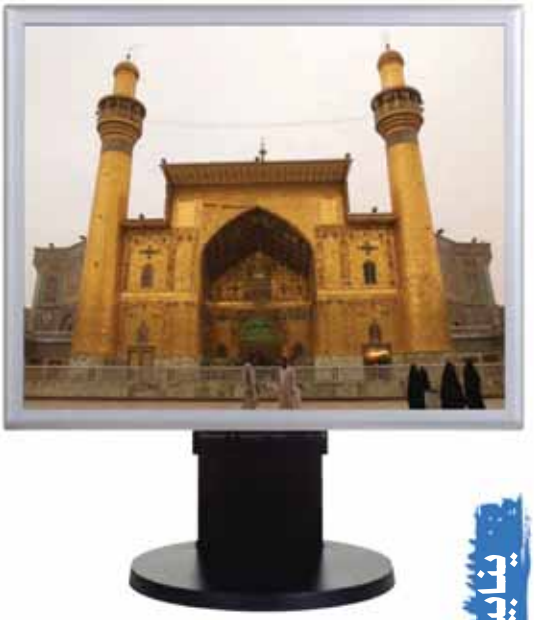

ينابيع

يمثل تراث أئمة الشيعة أبرز الأسباب الحقيقية التي رسخت فكرة التسامح بين الشيعة وعمقها. إن المقصود بتراث الأئمة هو تلك الثروة الهائلة والخزين الضخم من الأعمال والأقوال الذي خلفه أئمة الشيعة لأتباعهم.

يبتدئ تاريخ الشيعة بالإمام علي بن أبي طالب عليه السلام سواء في حياة النبي محمد صلى الله عليه وآله أو بعد ذلك. ويحتاج تحليل الموقف المتسامح الذي وقفه الإمام علي عليه السلام، من خصومه المعارضين والمناوئين لحكمه إلى وقفة طويلة وتفصيلية، لكن غرض البحث هنا هو إعطاء نماذج متفرقة عن مواقف الأئمة، لاستعراض جميع مفاصل حياتهم.

تتميز تجربة الإمام علي عليه السلام وخلافاً لبقية

الأئمة عليهم السلام بأنها ذات بعدين: فالإمام عليه السلام قد أسس مبدأ التسامح في واقع الحياة الاجتماعية كفرد من أفراد المجتمع الإسلامي، وهو مارس هذا الدور وبشكل أكثر عمقاً أثناء فترة حكمه التي امتدت بين سنتي ٣٦-٤١هـ. لقد رسخ الإمام علي عليه السلام مفهوم التسامح أثناء دوري حياته لتصبح تجربته هي المثال الأكبر الذي يحلم به جميع أبناء المجتمع الإسلامي. والحق أن مفردة التسامح لا تعبر بشكل كاف وحقيقي عن جوهر المبادئ التي نشرها الإمام علي عليه السلام. فالتسامح، كمبدأ لا يقتضي العدالة، بل هو يعبر في أحسن الأحوال عن التعايش وتقبل الآخر ضمن حدود مقبولة. أما الإمام علي فقد تجاوز مبدأ التسامح الى ترسيخ المساواة بين أبناء الجنس البشري.

تروي المصادر التاريخية أن الإمام علي عليه السلام تخاصم مع يهودي على درع كان الإمام عليه السلام قد فقدها. وحين حضر الإمام عليه السلام مع الرجل اليهودي الى شريح القاضي ليقضي بينهما، أظهر الإمام عليه السلام عدم رضاه من تصرف شريح الذي كان يناديه بكنيته بينما كان يخاطب اليهودي باسمه الصريح. ولم يكن غضب الإمام عليه السلام لهذا التفاوت في المعاملة بينه وبين خصمه إلا دعوة للانتصار لحق الخصم في المعاملة الكريمة.

إن من الشائع عادة أن يغضب الإنسان لأي إساءة قد يتعرض لها، خصوصاً وهو في معرض الخصومة مع الآخرين. أما الانتصار للخصم والتعصب له فهو أرقى ما

تصل إليه النفس الإنسانية، وهو خلق نادر لا يمكن أن تصادفه لدى أعظم العظماء.

ومبادئ الإمام علي عليه السلام وهو فرد كسائر أفراد المسلمين هي نفسها مبادؤه وهو الحاكم عليهم، الآمر فيهم.

فعندما أعلن جماعة من أصحابه الخروج عليه ومفارقته، لم يضمن الإمام علي عليه السلام حياتهم فحسب حينما اعترض الإمام عليه السلام على جماعة من أصحابه هموا بمقاتلة هؤلاء الخوارج ولكنه ضمن حقوق الخارجين عليه في بيت المال أيضاً، معلناً أنهم من الأمة ماداموا لم يعلنوا الحرب عليها. إن الإمام يؤسس هنا لمبدأ حرية الخصم في المعارضة، المبدأ الذي أيصبح أحد الأسس الكبرى في الحياة السياسية الغربية الحديثة. إن هذا المبدأ الأخلاقي الرائع للإمام علي عليه السلام يكشف لنا حدود المبادئ الإنسانية التي كان الإمام يدعو لها ويطبقها بنفسه وهي مبادئ لا نجد لها ما يقابلها، وللأسف خصوصاً بين أبناء المجتمع الإسلامي المعاصر.

يروى أن مجموعة من أصحابه جاءوه عند تفرق الناس عنه وفرار بعضهم إلى معاوية طلباً لما في يديه من الدنيا، فقالوا: يا أمير المؤمنين أعط هذه الأموال وفضل هؤلاء الأشراف على الموالي والعجم ومن تخاف عليه من الناس فراره إلى معاوية، فقال لهم أمير المؤمنين عليه السلام: أتأمروني أن أطلب النصر بالجور، لا والله ما أفعل، ما طلعت شمس، ولاح في السماء نجم، والله لو كان مالهم لي لواسيت بينهم، وكيف وإنما هي أموالهم[1].

وربما يقود موضوع السياسة المالية العادلة التي انتهجها الإمام عليه السلام بين المسلمين الى ذكر حقيقة، تبدو على جانب كبير من الأهمية. فخازن بيت المال على عهد أمير المؤمنين عليه السلام كان هو عبيد الله بن أبي رافع القبطي المصري الأصل. وذكر هذه الحقيقة في حياة أمير المؤمنين عليه السلام وخلافته تحديداً تنطوي على دروس عميقة يحسن بالمسلمين المعاصرين أن ينظروا إليها.

إن كثير من المسلمين وللأسف يتعاملون مع أبناء الأقليات الدينية والقومية الأخرى من موقع الكره والحقد، الذي يبنونه أصلاً على قاعدة الاختلاف الديني والقومي. لكن قاعدة الاختلاف لا تنفي حقيقة اشتراك البشر في المبدأ الإنساني العام. يقول الإمام عليه السلام: الناس صنفان، أخ لك في الدين، أو نظير لك في الخلق. كذلك فإن حديث الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله الذي يؤكد: إنما الدين المعاملة، ربما يكشف الأساس الأكبر للعلاقة بين بني الإنسان.

وإذا ما انتقلنا الى دراسة حياة بقية الأئمة عليهم السلام، وجدنا أن المنهج العلوي (وهي التسمية التي ستظل عنواناً لتراث الأئمة جميعاً) هو نفسه، يتجسد واقعاً باسم الإمام الحسن عليه السلام أو الحسين عليه السلام أو بقية تلك السلالة الطاهرة المطهرة.

عرف الإمام الحسن عليه السلام بفضيلة الحلم، حتى سمي حليم آل البيت عليهم السلام والحلم فضيلة أخلاقية، تدل على سمو الذات

وتواضعها في الوقت عينه. ولقد بلغ من حلم الإمام الحسن عليه السلام وسمو أخلاقه أن أحدهم كان يتعرض للإمام عليه السلام دائماً بالأذى والسب، وكان الإمام لا يرد عليه بمثله، بل يسأله بعطف: ربما اشتبه عليك. هل لديك حاجة حتى نقضيها لك؟. وسنرى أن مثل هذه المواقف تتكرر في حياة الأئمة الآخرين بشكل يكشف عن تأصيل المنهج الأخلاقي وتجذره.

يرتبط اسم الإمام الحسين عليه السلام بمأساة كربلاء الخالدة. وفي يوم عاشوراء بالذات، أظهر الإمام الحسين عليه السلام أروع صفات التسامح والإنسانية خصوصاً مع أعدائه وخصومه المقاتلين له. ففي صبيحة يوم عاشوراء وقف الإمام الحسين عليه السلام داعياً الله كي يهدي أعداءه الى طريق الصواب.

والإمام الشهيد (أبو الشهداء) هو الإنسان ذاته، الذي كان قد كسر تقليداً اجتماعياً ليؤسس نهجاً اجتماعياً جديداً ورائعاً. ففي الوقت الذي شاعت فيه بين العرب المسلمين ظاهرة الحط من الموالي، وفي الوقت الذي كان ينظر إليهم على أنهم أقل منزلة اجتماعياً وإنسانياً تخطى الإمام الحسين عليه السلام ذلك التقليد الجاهلي ليتزوج امرأة من الموالي، كاسراً بذلك عرفاً اجتماعياً بغيضاً، كان ـ وسيظل لفترات لاحقة ـ خطاً أحمر بين المتعصبين من العرب. إن مبدأ المساواة في التعامل مع القوميات المختلفة سيصبح مبدأ شيعياً متأصلاً مع مرور السنين. فالزواج من النساء غير العربيات أو غير المسلمات، سيتكرر مع الإمام الصادق عليه السلام الذي تزوج من امرأة أندلسية وقيل بربرية، تعرف باسم حميدة، حيث ستنجب له الإمام موسى الكاظم عليه السلام. والإمام الكاظم عليه السلام بدوره سيتزوج من امرأة نوبية، هي أم الإمام الرضا عليه السلام. ويجدد الإمام الرضا عليه السلام هذا التقليد الجديد ليتزوج من امرأة نوبية تدعى سبيكة، المرأة التي شاء لها الله أن تكون أم الإمام الجواد عليه السلام.

وتتكرر حالة الزواج من النساء غير العربيات مع الإمام الحسن العسكري عليه السلام (والد الإمام المهدي عليه السلام). فوفقاً للمصادر التاريخية فإن الإمام العسكري عليه السلام قد تزوج من امرأة كانت نصرانية تدعى سوسن أو نرجس، وهي التي أنجبت الإمام المهدي (عجل الله فرجه). وهذه الرواية تحديداً لم تكتمل حتى الآن قراءتها، بشكل يكشف جميع دلالاتها التاريخية والدينية العميقة.

إن مسألة الزواج من النساء غير العربيات إذ تتكرر بهذا الشكل فإنها تحمل دلالات عديدة ليس أقلها تثبيت مبدأ المساواة بين بني البشر وعدم تفضيل جنس على آخر، مع التشديد على احترام أبناء الأديان الأخرى ولا يمكن النظر إلى المسألة بصورة حكم فردي يختص بالإمام، بل هو تقليد إنساني يسعى الأئمة الشيعة إلى تأسيسه بين بني البشر.

ففي مقابل النهج العنصري الذي لجأ إليه بعض العرب في تعاملهم مع الموالي، تعامل الأئمة بروح التسامح والعدالة والمساواة. ولا يختلف منهج التسامح قليلاً أو كثيراً مع الإمام زين العابدين عليه السلام أو ولده الإمام الباقر عليه السلام. فموقف الإمام السجاد عليه السلام من مروان بن الحكم يوم ثارت عليه المدينة، هو مما يعجز العقل البشري عن تصوره. فلقد ثار أهل المدينة المنورة على أيام يزيد بن معاوية، معلنين خلعهم لبيعته. وكانت هذه الثورة صدى لما تركته مأساة الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء. ولم يجد مروان بن الحكم مأوى لعياله، إلا عند الإمام زين العابدين عليه السلام، الذي كفل العائلة ورعاها طيلة فترة هروب مروان إلى الشام. ومن المعلوم أن مروان بن الحكم كان من أشد المحاربين للبيت العلوي بل أن اسمه يرتبط بالعداوة والكيد لهم.

كذلك فإن من يراجع الصحيفة السجادية فسوف يجد فكراً أخلاقياً رفيعاً قل نظيره. إن دعاء الإمام السجاد عليه السلام لأهل الثغور مثلاً يجسد العطف الإنساني الراقي على جيوش المسلمين، علماً أن قادة الجيش الأموي كانوا والغين في دماء المسلمين عموماً، ودماء أهل البيت عليهم السلام خصوصاً.

ويرتبط اسم الباقر عليه السلام في المصادر الشيعية بنشوء مدرسة آل البيت عليهم السلام التي سيتكامل بنيانها في عهد الإمام الصادق عليه السلام.

وعلى عهد الإمام الباقر عليه السلام تحديداً سيبدأ الخوض في المسائل العلمية والفكرية بين المسلمين. وأرى من الواجب هنا رد ما يذهب إليه بعض الباحثين من نهي الأئمة عليهم السلام عن الجدل الفكري، مستندين في ذلك الى بعض الأحاديث التي وردت عن الأئمة عليهم السلام بهذا الخصوص. ويبرز بعض الباحثين ذلك بالقول أن الإمام أعلى وأعلم مرجع للشريعة، ويمكن الرجوع إليه في كل سؤال للإجابة عنه، والاستفادة من توجيهاته التي تعبر عن الحقائق الناصعة المعبرة عن الواقع، ومع وجوده لا معنى للاجتهاد والاستدلال العقلي في الأمور الدينية، وبالتالي فلا داعي للجدال والنقاش واختبارات القوة في المناظرات[٢].

إن هـذا الرأي ينسى أن الإمام عليه السلام كان يجوز لأصحابه القادرين الخوض في مثل هذه المناظرات ويمنع من كانوا لا يثبتون أمام الخصم، على حد تعبير الحسني[٣]. وهنا يحسن إيراد الرواية التالية عن أبي خالد الكابلي. قال: رأيت أبا جعفر صاحب الطاق، في الروضة وقد قطع أهل المدينة أزراره وهو دائب يجيبهم ويسألونه فدنوت منه، وقلت له: إن أبا عبد الله نهانا عن الكلام، فقال: لقد أمرك أن تقول لي؟ فقال لا والله ولكنه أمرني أن لا أكلم أحداً. قال: فاذهب وأطعه فيما أمرك، قال الكابلي: فدخلت على أبي عبد الله الصادق عليه السلام فأخبرته بقصة صاحب الطاق وما قلت له وما أجابني به، فتبسم أبو عبد الله عليه السلام وقال: يا أبا خالد إن صاحب الطاق يكلم الناس فيطير وينقص وأنت إذا قصوك لن تطير)[٤].

إن هذه القصة توضح أن الأئمة عليهم السلام لم ينهوا أتباعهم عن المناظرة والجدل الفكري، كراهية للجدل كما تريد أن توضح بعض الاستنتاجات الحديثة. بل يمكن القول إن الأئمة عليهم السلام شجعوا على هذا الأمر أولئك النابغين من طلابهم لمواجهة تلك التيارات والمذاهب الفكرية الطارئة والمستحدثة.

كما ينبغي التفريق بين الاجتهاد والجدل في المسائل الفكرية وبالتحديد على عهد الأئمة عليهم السلام. ففي عهد الأئمة لم تكن هناك أي حاجة لدى الشيعة لتقنين الاجتهاد، أو اللجوء إلى القياس كما فعل بعض أصحاب المذاهب الأخرى، نظراً لوجود الأئمة عليهم السلام وارتباط الشيعة مباشرة معهم من خلال العلماء والوكلاء الذين كانوا يفدون بأسئلتهم وأمورهم الشرعية لعرضها عليهم. لقد كان هؤلاء (العلماء) لا يفتون برأيهم ولكن من خلال اللجوء إلى أحاديث الأئمة التي سمعوها منهم. لهذا السبب فقد تأخر التنظير الشيعي لأصول الفقه عن قرينه السني، نظراً لعدم حاجة الشيعة آنذاك إلى الاجتهاد مع وجود الإمام بينهم[٥].

أما في ما يخص المناظرات العقلية والفكرية فليس من المعقول أن يلجأ هؤلاء الوكلاء إلى الإمام خصوصاً مع بعد المسافة. لذلك وجدنا الأئمة عليهم السلام يحثون النابغين من الشيعة على الجلوس في المساجد وإفتاء الناس استناداً إلى أحاديثهم، ومناظرة الخصوم في المسائل العقلية الجديدة.

لقد أوضح الإمام الباقر عليه السلام لأصحابه المدى الأخلاقي للتسامح بوصيته لهم قائلاً: ثلاثة من مكارم الدنيا والآخرة: أن تعفو عمن ظلمك، وتصل من قطعك، وتحلم إذا جهل عليك[٦]. وسنرى لاحقاً من خلال كلمة مشابهة للإمام الصادق عليه السلام أن منهج التسامح الإنساني الذي يسير عليه الأئمة واحد، ولا يختلف قيد أنملة بين إمام وإمام ■

---

(١) السيد الصدر، أخلاق أهل البيت، قم، ط١، ٢٠٠٤، ص٤٠٩.

(٢) د. الطباطبائي، حسين المدرسي، تطور المباني الفكرية للتشيع في القرون الثلاثة الأولى، ت. د. فخري مشكور، قم، ١٤٢٣هـ ق، ط١، ص١٧٠-١٧١.

(٤) الحسني، هاشم، سيرة الأئمة الاثني عشر، قم، انتشارات المكتبة الحيدرية، ج٢، ص١٩٩.

(٥) الحسني، هاشم المصدر السابق، ص١٩٩.

(٦) راجع حول ذلك السيد الصدر، محمد باقر، دروس في علم الأصول، مؤسسة انتشارات دار العلم، قم، الحلقة الأولى، ص٣١-٣٥.
ولرأي مغاير، لاحظ السيد الحكيم، محمد جعفر، تاريخ وتطور الفقه والأصول في حوزة النجف الأشرف العلمية، المؤسسة الدولية للدراسات والنشر، بيروت، ط٣، ٢٠٠٢، ص١٧٨-١٧٩.

طروحات عامة

علم العروض.. نشأته وأهميته

أ. م. نجم عبد الله الموسوي •
كلية التربية/ جامعة ميسان

ينابيع

علم العروض، أحد علوم اللغة العربية، يبحث عن أحوال الأوزان الشعرية، وما يحدث فيها من تغيرات، وهو المعيار الذي تعرض عليه الأبيات الشعرية، للتأكد من صحة وزنها، مثلما النحو معيار الكلام.

لقد اهتم العرب بالعروض، لحاجتهم إليه في معرفة صحة أوزان الشعر العربي، وتمييز الحسن من الرديء، وفرز ما استقام من الشعر عما اختل منه، فالعرب بأصيل طبعهم وفطرتهم اشتهروا منذ عصر ما قبل الإسلام بالفصاحة، والقدرة الإبداعية في نظم الشعر، والتمتع بالذوق الرفيع في معالجة الكلام من اختيار للألفاظ،

وانتقـــاء للمعاني، والملاءمـــة بين اللفظ والمعنى.

وجِد علم العـــروض على يدي الخليل ابـــن أحمـــد الفراهيـــدي (ت ١٧٥ هـ)، وهو أحد أئمة اللغـــة، والنحو، والأدب، وهو أول مـــن وضع القواعد الأساســـية لعلـــم العروض، وصـــاغ نظرياته، وحدد بحوره، وتفعيلات كل بحر منه.

وذلك ليس غريبا علـــى عقلية الخليل لأنه من العقول الراقية والنادرة حتى قيل فيه : إنَّ عقله كان أكثر من علمه.

أما ســـبب تســـميته بهذا الاسم، فقد تفاوتت الآراء، فهناك من يقول إنه سمي بذلك لاكتشـــاف الخليل إيـــاه أثناء إقامته بمكـــة تبركاً بها، وأخر يقول إنَّ العروض ســـمي عروضاً نســـبة إلى عمـــان، التي كان الخليل يقيـــم فيها، وكان يطلق عليها العـــروض، إلا أنَّ هناك من يقول ســـمي العروض لأن الشعر العربي يعرض عليه.

ومهما يكن، لابد من ذكر الأســـباب، والدوافـــع التي دفعـــت الخليل إلى وضع هذا العلم :

١. قيـــل إنَّ الخليل دعا بمكة أن يرزقه اللّه علماً لم يســـبقه إليـــه أحد فرجع من حجه، فَفُتِح عليه علم العروض.

٢. قيل إنَّ الخليل سمع شعراء عصره، ينظمـــون علـــى غير ما ألفتـــه العرب من أوزان فخشي أنْ تضيع أوزان العرب، أو تختلط بغيرها فوضع هذا العلم.

٣. قيـــل إنَّ الخليـــل مرَّ يوماً بســـوق

الصفارين فسمع دقَّ مطارقهم على الطسوت فأداه ذلك إلى تقطيع أبيات الشعر (صالح، ١٩٨٦ ص٢١- ٢٢) .

٤. ويرى (عودة، ١٩٩٦)، أنَّ ما شهده القرن الثاني الهجري من التأليف، لم يكن مفاجئاً دون مقدمات، فقد كان لابد للحلقات العلمية التي شهدتها المساجد، منذ ظهور الإسلام، أنْ تتطور باتجاه التدريس، والتأليف، كما أنَّ رواية الشعر، والاهتمام بقضاياه منذ العصر السابق للإسلام، لابد أنْ تؤتي أُكلها مستفيدة من مجمل الحياة العقلية، التي طبعت تلك الفترة، ومن المنطق أنْ يكون علم العروض، ثمرة من الثمار التي أتاها النضوج على يد منظره، ومكتشف قوانينه الخليل بن أحمد الفراهيدي (عودة، ١٩٩٦ ص٢).

ومهما قيل في الأسباب، والدوافع التي أدت إلى ظهور علم العروض في تلك الفترة المتوهجة علمياً، فإنَّ الباحث يرى، إنَّ علم العروض جاء نتيجة نبوغ العقل العربي في تلك الفترة، وتفتح الطاقات الذهنية، والإمكانيات العلمية التي أوقدها الإسلام في أفراد المجتمع الإسلامي، فضلاً عن ترابط المجتمع عقائدياً، وثقافياً، كل هذه الأمور أسهمت في الإبداع العقلي، والارتقاء المعرفي... وأدت إلى إتقان الموضوعات العلمية، وبالأخص اللغة العربية، وما فيها من علوم لأن هناك واجباً دينيا يدعو أبناء الإسلام إلى الاهتمام بلغتهم، باعتبارها لغة القرآن.

أهمية علم العروض:

١. إنَّ علم العروض، حفظ للشعر العربي أبرز مقوماته، ولولاه لظهرت بوادر الإنحلال في الشعر العربي منذ زمن بعيد.

٢. إنَّ الذين يعالجون الشعر ونظمه، ينبغي إنْ تكون حاجتهم إليه ماسة، لأنه العلم الذي به يعرفون صحيح الأوزان من فاسدها ، ولأنه العلم الذي يدلهم على ضروبها المختلفة، وما يدخل تلك الضروب من كمال، وتجزئة وبتر، كما إنه الذي يدلهم على آداب القافية، وما يصح فيها، وما لا يصح.

٣. إنَّ إتقان علم العروض يساعد الشاعر على معرفة أنواع البحور الشعرية المختلفة، والبالغ عددها ستة عشر بحراً، ونوع كل بحر من تام، ومجزوء، ومشطور، ومنهوك، وهذه المعرفة

تساعده في النظم على أوزان شعرية متعددة، وعدم الاقتصار على وزن شعري واحد.

٤. إنَّ العروض، هو الأداة الفاعلة في فهم الشعر العربي، وطبيعته من خلال قراءة الأبيات الشعرية، قراءة صحيحة، وسليمة.

٥. يضع في يد المعلم، والطالب أداة نقدية علمية، وليست ذوقية.

٦. يسهم في بناء أذن موسيقية، وذوق سليم، عند المعلم، وبالتالي عند الطالب.

٧. يساعد المتعلم على الأداء النحوي الصحيح، باضطراره إلى قراءة الكلمات في القصائد، والأبيات محركة ■

(١) صالح، عبد المنعم أحمد: قراءة عروضية في المعلقات العشر، ط١، مطبعة الرشاد، بغداد ١٩٨٦م.

(٢) عودة، عباس: ضروب البحور بين النظرية والتطبيق، دراسة عروضية في ديوان بشار وأبي نؤاس وأبي العتاهية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة البصرة ١٩٩٦م.

حكم ومواعظ..

ما روي من حكم الإمام أمير المؤمنين عليه السلام:

* آلة الرئاسة سعة الصدر.. العبادة انتظار الفرج بالصبر.
* العاقل من بذل نداه.. الحازم من كف أذاه.
* المنصف كريم.. الظالم لئيم.
* العفو تاج المكارم.. المعروف أفضل المغانم.
* التواضع ينشر الفضيلة.. التكبر يظهر الرذيلة.
* الصفح أحسن الشيم.. المودة أقرب الرحم.
* العقل ينبوع الخير.. الجهل معدن الشر.
* الأعمال ثمار النيات.. العقاب ثمار السيئات.
* الدهر موكل بتشتت الآلاف.. الأمور المنتظمة يفسدها الخلاف.
* الحق أوضح سبيل.. الصدق أنجح دليل.

الزخرفة والتذهيب في المخطوطات

كريم نصيف جمعة •

ينابيع

لم تشهد المخطوطات العربية الإسلامية الزخرفة والتذهيب وظلت هكذا في صدر الإسلام وكان الصحابة والتابعين وأعلام المسلمين والأدباء والمفكرين يتحرجون من إدخال أي إضافات على آيات القرآن الكريم وإن حركات الإعراب التي وضعها أبو الأسود الدؤلي المتوفى سنة ٩٦هـ بعد أن بدأ التلحين يطرأ على اللسان العربي فوضع حركات الإعراب باللون الأحمر يوم كان المخطوط يكتب بالمداد (الحبر) الأسود أو البني الداكن فكان ذلك أول لون يظهر على المخطوط وقد انتقلت هذه الحركات من البصرة إلى المدينة والمغرب العربي والأندلس فاستعملوا اللون الأحمر

للضمة والفتحة والكسرة والسكون واللون الأخضر للهمزة والأصفر للتشديد ولم يشهد القرآن الكريم سوى حركات الإعراب هذه الملونة.

ثم بدأت تظهر الفواصل التي تفصل بين الآيات الكريمة حيث كانت على شكل دوائر ومربعات يحليها وريقات نباتية وزخارف ملونة وذهبت الفواصل بين السور إذ كتبت أسماء السور بالمداد الذهبي ثم بدأت أساليب الزخرفة للمصاحف وتذهيبها تبرز بصورة دقيقة ورائعة إضافة إلى الجمال الذي طرء عليها فأصبحت فواتح المصاحف تزخرف بأشكال هندسية ونباتية ملونة ومذهبة تحيط بالكتابة وتملأ جميع الفراغات الموجودة بين السطور وفي الحواشي كما زخرفت الوقفات والأحزاب والأجزاء وكتبت معظمها بالخط الكوفي على أرضية ملونة ومزخرفة.

أما المخطوطات الأخرى فاستقرت أساليب الزخرفة والتذهيب فيها لتشمل الصفحات الأولى من المخطوط أو الأقسام العلوية من بداية المتن وأوائل الأبواب والفصول والمقالات وكذلك بالنسبة للمخطوطات الخزائنية فقد أصبحت لها صفحة كاملة لكتابة العنوان واسم من كتب المخطوط لخزانته واسم المؤلف وعادة ما تزين صفحات الإهداء بزخارف هندسية نباتية ملونة ومذهبة وبألوان مختلفة واستمرت أساليب

الزخرفة والتذهيب على المخطوطات وحددت أغلب الزخارف بخطوط رفيعة للتأكد على الشكل والعنصر الزخرفي وشاع في القرن السابع للهجرة وما بعده تذهيب الكتب ذات الأبعاد الروحية والمخطوطات الفلكية وكتب الصلوات والأدعية والأذكار إضافة إلى مختلف العلوم الأخرى ومن أشهرها مخطوطة دلائل الخيرات وشوارق الأنوار للجزولي والكتب التي تذكر شمائل الرسول ﷺ فقد نالت هذه الكتب اهتمام المزخرف الفنان والمذهب حتى ملئت بزخارف مختلفة غاية في الإبداع والجمال.

أما التصوير فقد شمل في أول الأمر توضيح الكتب العلمية بصور توضيحية في الطب ورسم أدوات الجراحة كما في كتاب التصريف لمن عجز عن التأليف في الطب للزهراوي وكتب الفلك والتنجيم التي رسمت فيها صور الكواكب ومساراتها وكتب الميكانيك كما في مؤلفات الجزري والبديع الاصطرلابي وغيرها.

أما تصوير الأشخاص وتلوينهم والحيوانات والمناظر الطبيعية فجاءت متأخرة وتميزت مدارسها حسب المناطق في العالم الإسلامي منهم من استعمل الألوان الزاهية ورسومات الأزهار وتفرعاتها وكانت هذه الزخارف تزخرف بأساليب فنية عبرت بدقة وواقعية رغم بساطتها واعتمادها على الأوراد والأزهار والأوراق وسيقانها وتفرعاتها عن الأشياء المرسومة لأجلها وبعدها ظهر الربع الزخرفي الذي يمثل الزاوية الأعلى من جهة اليمين وهو مشابه للجزء الأعلى من جهة اليسار وينطبق على الجهتين في أسفل الصفحة.

ثم تطور هذا الجزء الزخرفي ليصبح صفحة كاملة في غاية الروعة والإبداع فأخذت هذه الزخارف تزحف إلى أغلب المخطوطات وصار المؤلف يكمل المخطوط بعدها يأخذ المزخرف على عاتقه زخرفة الصفحات وتذهيبها وفي بعض الأحيان يكون المؤلف والمزخرف نفس الشخص والجهد الذي يبذله يعطي أهمية كبيرة لهذا المخطوط من الناحية الفنية والجمالية والإبداعية إضافة إلى المادة العلمية التي تحويها المخطوطات ■

---

(١) هادي بلقيس محسن، تاريخ الفن العربي الإسلامي، ١٩٩٠.

(٢) زكي محمد حسن، فنون الإسلام.

(٣) ابن النديم، الفهرست.

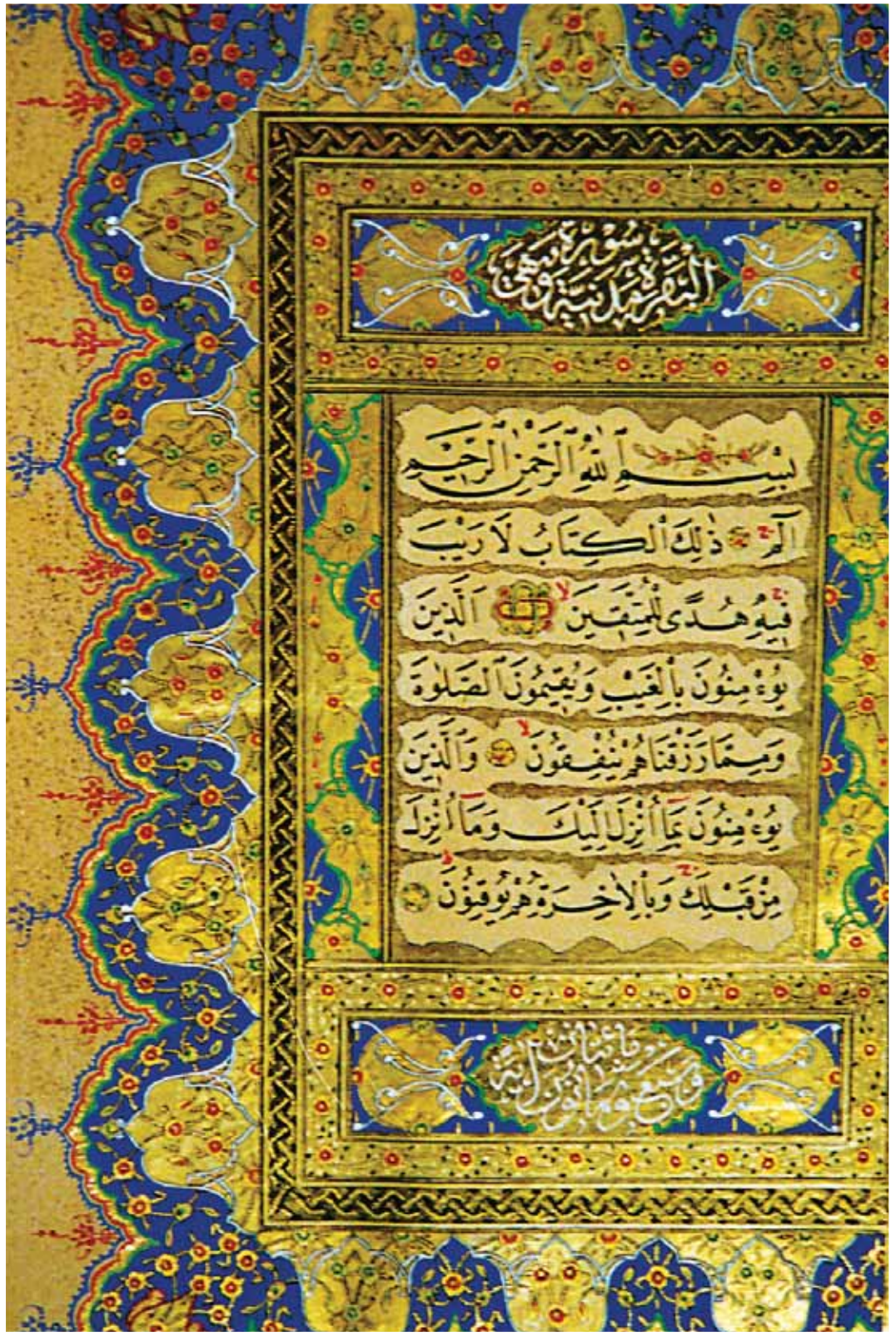
سورة البقرة مدنية وهي
بسم الله الرحمن الرحيم
الم ذلك الكتاب لا ريب
فيه هدى للمتقين الذين
يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلوة
ومما رزقناهم ينفقون والذين
يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل
من قبلك وبالآخرة هم يوقنون
وثمانيات وهي أول مدنية

لقاء مع..

الدكتور السيد عمر شهاب

رئيس مجلس شورى منظمات أهل البيت(ع) والأستاذ في الجامعة الإسلامية في أندنوسيا

أجرى اللقاء:
السيد صالح الحكيم

ينابيع

* إندونيسيا تلك الدولة الواقعة في جنوب شرق آسيا والتي تجاور كل من ماليزيا والفلبين وتايلاند، والتي هي عبارة عن مجموعة من الجزر. كانت تدين بالديانتين البوذية والهندوسية، واليوم هي اكبر دولة إسلامية من حيث السكان.

قصدها التجار المسلمون ـ اغلبهم من الموالين لأهل البيت عليهم السلام ـ من اليمن والهند وكذلك السادة من ذرية رسول الله صلى الله عليه وآله الفارين من بطش واضطهاد السلطات العباسية من العراق والحجاز ، مما أدى إلى انتشار الإسلام الموالي لآل البيت عليهم السلام في بداية الأمر في اندونيسيا.

وهناك قبور للسادة ومنهم قبر لأحد السادة من ذرية أهل البيت عليهم السلام في منطقة سومطرة، في مقبرة يرجع تاريخها إلى القرن الثالث الهجري، هرب هذا السيد من ظلم الحكم العباسي في بغداد، وبذلك يعتبر المذهب الشيعي أول المذاهب الإسلامية التي دخلت إلى إندونيسيا.

كما تشير المصادر التاريخية إلى أن أول مملكة إسلامية في إندونيسيا ظهرت في سومطرة وسميت (سمودرا باساي) والتي قيل أنها شيعية من خلال بعض الآثار التاريخية التي تدل على التشيع، ظهرت هذه المملكة ما بين القرن السابع والثامن الميلادي.

ولكن على طول الفترة ومع الانقطاع الذي حدث هناك أصيبت عقائد الشيعة الأمامية ببعض الأمراض والتحريفات نتيجة دخول المذاهب الأخرى.

نجد في الآثار التاريخية للإسلام في إندونيسيا ومن ضمن عقائدهم أنهم يعظمون علياً عليه السلام ويقرؤن (ناد علياً...)

في حروبهم مع الاستعمار، فيما تشير مصادر أخرى الى أنهم كانوا يكفرون يزيداً ومعاوية، بل أن بعضهم ذهب مذهب الغلاة في حب أهل البيت عليهم السلام، يذكر أن بعضهم عندما كان يسمع صوت الرعد والصواعق كان يعتقد بأن هذا هو صوت علي عليه السلام.

وكما عانت دول الشرق من الاستعمار، كانت إندونيسيا من نصيب الاستعمار الهولندي، فمنذ القرن السادس عشر الميلادي ولثلاث قرون كانت هذه الدولة تحت وطأة الاستعمار. وبسبب ذلك انتشرت الديانة المسيحية في إندونيسيا.

ما تقدم من معلومات مأخوذة من لقاء أجراه موفد مجلة (ينابيع) مع الدكتور الاندنوسي عمر شهاب (٥١ سنة) لدى زيارته إلى العتبات المقدسة في العراق، حيث قَدِم الدكتور عمر ضمن مجموعة من الزائرين الاندنوسيين من أتباع أهل البيت عليهم السلام إلى العتبات المقدسة في العراق.

ولما لهذه الشخصية من دور فعال في إندونيسيا ارتأينا أن نجري معه هذا اللقاء السريع للاستفسار عن أحوال الشيعة والتشيع في إندونيسيا.

ينابيع: بداية نرحب بك وبجميع أعضاء الوفد الزائر في أرض المقدسات، ونتمنى لكم زيارة مقبولة ودعاءً مستجاباً وإقامة طيبة.

بودنا (يا دكتور) أن تقدم تعريفاً موجزاً لقرائنا الأعزاء بشخصكم الكريم.

ج: أنا أستاذ في الجامعة الإسلامية في إندونيسيا، ومحاضر في بعض الجامعات الأهلية هناك، كما اعمل في مجال التبليغ الإسلامي في الجوامع ومجالس التعليم في إندونيسيا.

وأنا الآن رئيساً لمجلس شورى منظمات أهل البيت عليهم السلام في إندونيسيا والتي تضم مجموعة من علماء الشيعة هناك.

درست في مدينة قم المقدسة في إيران

للفترة من عام ١٩٧٦م ولغاية عام ١٩٨١ م، وحصلت على شهادة الدكتوراه في العلوم السياسية من جاكرتا.

ينابيع: ليتك تحدثنا عن التشيع والشيعة في اندونيسيا.

ج: التشيع قديم في إندونيسيا، ولكن نتيجة للمحن التي عانى منها أتباع مذهب أهل البيت عليهم السلام هناك، حرفت العقائد الشيعية الأصيلة إلا انه رغم ذلك بقيت بعض الآثار لمذهب أتباع أهل البيت عليهم السلام مترسخة في ضمائرهم، مثل إقامتهم الشعائر الحسينية في أيام عاشوراء، حيث كانت لهم في كثير من المناطق أعمال خاصة في الأيام العشرة الأولى من شهر محرم الحرام.

حتى أنهم كانوا يسمون يوم عاشوراء (يوم الأيتام) تيمناً بأيتام الحسين ×.

ينابيع: حسبما علمنا أن الإسلام بدأ في اندونيسيا شيعيا، كيف تحول إلى المذاهب الأخرى؟

ج: بعد ظهور الإسلام في إندونيسيا وبمرور الزمن وطول الانقطاع وعدم التواصل مع منابع التشيع في العالم (كالعراق وإيران)، ظهر الاتجاه الصوفي فيها، فأصبح انتشار الإسلام عن طريق التصوف وليس عن طريق التشيع، وذلك لان التصوف يتبنى محبة لأهل البيت عليهم السلام إلا أنهم على المذهب السني، وبذلك حُرفت عقائد التشيع لديهم وبمرور الزمن اعتنقوا مذاهب الجمهور.

ينابيع: ما هي الديانات الأخرى المتواجدة في اندونيسيا، وما هي نسبة المسلمين هناك؟

ج: الديانتين الهندوسية والبوذية كانت منتشرة في إندونيسيا قبل الإسلام، والآن هناك بعض السكان من يعتنق الديانة الهندوسية والبوذية التي قدمت من الصين، كما أن هناك ما يقرب من ٢٠ مليون نسمة ممن يعتنقون الديانة المسيحية نتيجة الاستعمار الهولندي الذي دام قرابة ثلاثة قرون والذي صحبه حملات تبشيرية.

أما الإسلام فقد انتشر بشكل سريع جدا وكبير بحيث استولى على معظم البلاد. حتى أصبح المسلمون يمثلون ٩٠ بالمائة من عدد السكان في إندونيسيا.

ينابيع: هل للشيعة في إندونيسيا الحرية في نشر أفكارهم؟

ج: نعم، هناك مؤسسات ثقافية وجمعيات وتجمعات ومساجد تقوم بنشر فكر أهل البيت عليهم السلام من خلال المحاضرات ومجالس العزاء التي تقام في البلاد إضافة إلى طباعة النشرات والكراريس، ولكن ليس بالقدر الكافي.

ينابيع: ألم يكن في إندونيسيا من يأتون إلى البلاد الإسلامية لطلب العلم والدراسة؟

ج: نعم، ولكن هؤلاء كانوا على المذهب الشافعي، والمذهب الأشعري دون أن يقولوا بأنهم شيعة أو سنة، واغلب تلك الدراسات كانت خارج إندونيسيا مثل مصر والسعودية وسوريا وغيرها، ولكنهم الآن يدرسون في إندونيسيا حيث انتشرت المدارس الدينية هناك.

واستدرك (الدكتور الضيف): نعم، الآن وبعد الانتشار الكبير للفكر الشيعي، والمكانة المرموقة لعلماء الشيعة، وسهولة التواصل ، فتحت أعين المسلمين في إندونيسيا فأخذوا يطلعون على المؤلفات الإسلامية الشيعية والإعلام الشيعي، فبدأ التشيع بالانتشار، بعد أن كانوا لا يعرفون شيئا عن الشيعة قبل ذلك، بل لم يسمعوا

باسم الشيعة أو السنة، وغاية ما كانوا يعرفون أنهم مسلمون فقط، رغم وجود بعض العوائل الشيعية من السادة.

ينابيع: هل تعانون من مضايقات حكومية في إندونيسيا؟

ج: الحمد لله، ليس هناك مضايقات كما كانت في الأزمنة السابقة، فإندونيسيا ليست دولة علمانية كما أنها ليست دولة دينية، بل هي دولة ديمقراطية تحترم الأديان.

وفي السنوات العشر الأخيرة أصبحت هناك انتخابات حقيقية، بعدما كنا نعاني من حكم الدكتاتور سوهارتو بشكل عام. ولم يكن مضيقاً على الشيعة أيام حكم سوهارتو بسبب انتمائهم المذهبي، لأنهم كانوا قليلين ولا يشكلون خطرا على الحكومة، وإنما كان التضييق على الأشخاص الذين كان لهم نشاط سياسي.

ينابيع: هل هناك مضايقات فكرية وعقائدية من جهات مناوئة لفكر أهل البيت عليهم السلام؟

ج: هناك مؤلفات كثيرة تتهم الشيعة وتفتري عليهم، وهي ذات التهم والافتراءات القديمة التي ردها علماء الشيعة ومفكريهم في كل العصور، كتحريف القران، وسب الصحابة والمغالاة في حب أهل البيت عليهم السلام.. وغيرها.

وبالمقابل هناك الكتب الشيعية المترجمة إلى الاندنوسية والتي قاربت الألف مؤلف.

ينابيع: هل هناك صحافة أو إعلام شيعي في إندونيسيا؟

ج: كانت هناك مجلة شيعية موجودة ولكنها تفتقر إلى الدعم المادي، وتوقفت لهذا السبب. إلا أن لدينا كتب ومؤلفات شيعية، إضافة إلى وجود مواقع شيعية على الانترنت، كما يوجد في إندونيسيا بعض المؤسسات الإسلامية الكبيرة.

ينابيع: على الصعيد الشخصي، هل لديك كتابات منشورة؟

ج: أنا شخصياً أكتب مقالات صحافية، ولكن وجودي في المنابر أكثر منه في الصحافة.

ينابيع: هل يوجد في إندونيسيا من يرغب في زيارة المراقد المقدسة في العراق؟

ج: بشكل عام وضمن ثقافة وأخلاق الإنسان المسلم في إندونيسيا هو يحب الزيارة لمراقد الأولياء، حيث توجد في إندونيسيا عدد من المزارات والتي تسمى بمزارات الأولياء بما فيها ما يسمى بمراقد الأولياء التسعة.

أما بالنسبة للشيعة، فهؤلاء يحبون زيارة العتبات المقدسة في العراق بالخصوص، حيث بدأت الزيارة إلى العراق منذ سنتين فقط، والشيعة يأتون إلى العراق على هيئة مجاميع (قوافل) لأداء مراسم الزيارة للمراقد المقدسة في العراق برغم الكلف العالية للسفر.

وفي نهاية هذا اللقاء وجهنا دعوة من خلال الدكتور السيد عمر شهاب لبعض المفكرين والعلماء الاندنوسيين للحضور إلى العراق من مختلف المذاهب، بهدف التعرف على مذهب أهل البيت عليهم السلام من جهة، والتعرف على النجف الأشرف كحاضرة علمية ومقر للحوزة العلمية من جهة أخرى.

شكر الدكتور الضيف ذلك وأبدى استعداده للتعاون فيما يحقق المصلحة للشعبين ■

أجوبة مسابقة العدد (٣٩-٤٠) وأسماء الفائزين

السؤال الأول: ب. نيشابور

السؤال الثاني: أ. ٧ سنوات

السؤال الثالث: أ. أم المساكين

السؤال الرابع: ب. ثلاثة

السؤال الخامس: ج. بعد وفاة أبيه أمير المؤمنين عليه السلام

السؤال السادس: ب. بئر غرس

السؤال السابع: ج. نهر من أنهار الجنة

السؤال الثامن: ب. محمد بن أبي بكر

السؤال التاسع: أ. الإمام علي السجاد عليه السلام

الفائز بالجائزة الأولى: حسن فالح عبد الحسن القريشي/ النجف الأشرف.

الفائز بالجائزة الثانية: خليل خلف بشير/ جامعة البصرة ـ كلية الآداب.

الفائز بالجائزة الثالثة: حسين ظاهر كسّار/ واسط ـ قضاء الصويرة.

على الفائزين مراجعة مقر المؤسسة لاستلام جوائزهم

ويسقط حق المطالبة بالجوائز بعد مرور ثلاثة أشهر من صدور العدد

مسابقة العدد (٤٢)

١ «كان صادعاً بالحق، واضح الطريق، لا يلتوي فينزلق، ولا يتفرق السبيل، يتجلى الحق فيه، ويكشف عمله عن الحق...» كلمات قالها الإمام الرضا عليه السلام في حق أحد الأصحاب. فمن يقصد؟

أ ـ حمران بن أعين　　ب ـ زرارة بن أعين

ج ـ عبد الملك بن أعين

٢ أقام الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام في ذي قار قبيل واقعة الجمل ليعطي مجالاً للجانب الآخر في مراجعة النفس، فكم يوماً مكث عليه السلام هناك؟

أ ـ ١٠ أيام　　ب ـ ١٣ يوماً

ج ـ ١٥ يوماً

٣ أقام الإمام الهادي عليه السلام في سامراء مجاهداً لطواغيت بني العباس الذين أرادوا القضاء على معالم الدين، فكم كانت مدة إقامته في سامراء إلى وفاته عليه السلام؟

أ ـ ١٠ سنوات　　ب ـ ١٥ سنة

ج ـ ٢٠ سنة

٤ **سيد فاق علاً كل الأنام　　كان إذ لا كائن وهو إمام**
شرّف الله به البيت الحرام　　حين أضحى لعلاه مولدا
فوطا تربته بالقدم

موشحة في مولد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام. من قائلها؟

أ ـ السيد باقر الهندي　　ب ـ السيد إسماعيل الشيرازي

ج ـ السيد إبراهيم الطباطبائي

كوبون المسابقة

ينابيع ٤٢

جواب السؤال الأول

أ	
ب	
ج	

جواب السؤال الثاني

أ	
ب	
ج	

جواب السؤال الثالث

أ	
ب	
ج	

جواب السؤال الرابع

أ	
ب	
ج	

الاسم الثلاثي: .....

العنوان: .....

كوبون المسابقة

جوائز المسابقة

الأولى: ١٠٠،٠٠٠ دينار. الثانية: ٧٥،٠٠٠ دينار. الثالثة: ٥٠،٠٠٠ دينار. يتعين الفائز بإجراء القرعة.

شروط المسابقة

* الإجابة عن ثمانية أسئلة فقط. * يوضع الكوبون في ظرف ويكتب عليه (مسابقة مجلة ينابيع) مع الاسم الثلاثي الصريح والعنوان الكامل ورقم الهاتف بوضوح ويرسل على عنوان المؤسسة. وبخلافه تهمل الإجابات. * آخر موعد لاستلام الأجوبة هو ١/ شوال/ ١٤٣٢هـ.

جواب السؤال السابع	أ	ب	ج

جواب السؤال السادس	أ	ب	ج

جواب السؤال التاسع	أ	ب	ج

جواب السؤال الخامس	أ	ب	ج

جواب السؤال الثامن	أ	ب	ج

٥ «**إن العلم بحال الرواة أساس الأحكام الشرعية ويجب على كل مجتهد معرفته وعلمه**»، حديث أدلى به العلامة الحلي منبهاً لأهمية هذا العلم. فما هو؟

أ ـ علم الدراية ب ـ علم النسب

ج ـ علم الرجال

٦ يحيى بن الحسن بن البطريق الأسدي من علمائنا الأعلام، ألّف كتاباً دوّن فيه جلّ ما رواه أصحاب الصحاح والمسانيد موضحاً لمشكلاته ومبيناً لمعضلاته. فما اسم الكتاب؟

أ ـ العمدة ب ـ الأمالي

ج ـ العدة

٧ من أولاد الإمام الكاظم عليه السلام كان أحد أوصياء أبيه عليه السلام وهبه ضيعة اليسيرية، قيل إنه كتب بيده ألف مصحف وأعتق ألف مملوك. فمن هو؟

أ ـ محمد العابد ب ـ أحمد شاه چراغ

ج ـ جعفر الخواري

٨ لما أتى خبر تمرد طلحة والزبير على الإمام علي عليه السلام دعا الناس للخروج معه ومواجهة هذا التمرد. فكم صحابياً بدرياً خرج معه؟

أ ـ ٦ ب ـ ٧

ج ـ ٨

٩ عن الإمام العسكري عليه السلام: «**أما إن لولدي غيبة يرتاب فيها الناس إلا ...**»؟

أ ـ من عصمه الله ب ـ من نفذت بصيرته

ج ـ من ثبت على الدين